الأمـــــالي عند المحدثين

دراسة تاريخية وتحليلية.

د. محمد بن عبدالله آل عامر الشهري

عضو الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، حاصل على الدكتوراه في فلسفة الإدارة التربوية. وطالب دكتوراه في جامعة القاهرة كلية دار العلوم – فرع الشريعة

ملخص

تناولت هذه الدراسة ظاهرة تعليمية وتربوية ارتبطت بأساليب التربية والتعليم لدى المحدثين خلال قرون طويلة من مسيرتهم النضالية لحفظ ونشر السنة النبوية، وأبانت الدراسة عن مفهوم الإملاء الشامل، ودلالاتها اللغوية الأولى، وأهميتها ودورها في حركة الحفاظ على السنة النبوية، والمراحل التي مرت بها، بدأً من نشأتها ثم تطورها وتحقيقها للسبق في الممارسات التعليمية والتدريسية، بالإضافة إلى الأركان الثلاث الأساسية التي تقوم عليها هذا الأسلوب التعليمي، كما قامت بمناقشة بعض المسلمات الواردة في كتب المصطلح حول تاريخ هذا الأسلوب.

الكلمات الدالة: الأمالي، المملي، المستملي.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..أمَّا بعـد؛

رافق أسلوب الإملاء ظهور الكتابة التي عرفها الإنسان في ميدان التقدم المعرفي منذ قرون سحيقة في عمق التاريخ، ومن الواضح أن العرب عرفت الإملاء منذ وقت مبكر، واستعملوه في عهودهم، ومع فجر رسالة الإسلام، أستعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في أغراض متعددة، وذلك في رسائله الكثيرة، وفي العهود التي أبرمها، والمواثيق[1]، وأملى الخلفاء والصحابة الكرام – رضي الله عنهم–وسنأتي على ذكر الشواهد والأمثلة في مكانها من هذه الدراسة.

ومع بواكير الحركة العلمية الأولى في الإِسْلام أُستخدم هذا الأسلوب كأحد أساليب التعليم والتوثيق في حفظ العلوم بشتى أنواعها، ومنها السنة النبوية، إلا أنه سرعان ما أضحى الأسلوب المفضل لدى المحدثين في معظم الأمصار الإِسْلامية، بعد أن شرع المحدثون في تطوير هذه الطريقة وممارساتها الإجرائية والضمنية والشكلية لتصبح على رأس الهرم في أساليب التحمل والأداء عندهم.

واليوم تُعَدّ مجالس الأمالي الْحَدِيْثية وأجزاءها الكثيرة المتناثرة في مكتبات ومراكز المخطوطات من أمهات المصادر التي لا يستغني عنها باحث في مجال السُّنَّة النبوية، فهي إلى جانب كونها صورة من صور التأليف الأولى في المسيرة النضالية التي قام بها علماء الْحَدِيْث لحفظ وتوثيق السُّنَّة النبوية، فإنها تحوي ضروباً شتى من العلوم

(١) كتب الشيخ/ علي بن يوسف السبكي كتاباً في الرسائل النبوية.

الْحَدِيْثية في الإسناد والمتن، كما ضمت كثيراً من الأحاديث النبوية، وتعرضت لتفسير الآيات الْقُرْآنية وشرح الأحاديث، وأبانت عن فوائد جليلة في الأسانيد والمتون، ووثقت كثيراً من المقالات والحكم والوصايا، بل والنصوص الأدبية، وعرضت قدراً كبير من أقوال العلماء النقدية في الإسناد والمتن مما يجعلها ثروة حدِّيثية مهمة جديرة بالاهتمام، والتقفر، و الأفراد بالدراسة.

وقد رأيتُ أن ألقي الضوء على هذا الأسلوب من خلال هذه الدراسة، وفق التقسيم بالتالي:

مقدمة، وستة مطالب، وخاتمة. وعلى النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم الأمالي، وأهميتها،وفوائدها.

المطلب الثاني: مكانة الإملاء، وحكم عقد مجالسها.

المطلب الثالث: أركانها.

المطلب الرابع: المراحل التي مرت بها.

المطلب الخامس: المستملي.

المطلب السادس: مناقشة بعض المسلمات التاريخية ذات الصلة بتاريخ الإملاء.

الخاتمة والتوصيات

المطلب الأول

مفهوم الأمالي وأهميتها ،وفوائدها

المسألة الأولى: تعريف الأمالي

أولاً: الأمالي في لغة العرب:

الأمالي: اسم منقوص بياء ساكنة غير مشددة، وهو جمع إملاء، على غير قياس، كإنسان، وأناسي، أو إعصار، وأعاصير(١).

قال أبو منظور: «الإملاء: الإمهال، والتأخير، وإطالة العمر، وأملي للبعير في العقد: أرخى، ووسع فيه. وأملى له في غيه: أطال. وأمليت الكتاب، وأمللته لغتان جيدتان جاء بهما القرآن(٢)، واستمليته الكتاب: سألته أن يمليه عليّ(٣).

وقَالَ الأزهري (ت٣٧٠):» وقَالَ الفرُّاء: أمللت عَلِيه، لغة أَهْل الْحِجَاز وبني أسد، وأمليت؛ لغة تميم وقيس، ويقَالَ: أمل عَلِيه شيئا يكتبه، وأملى عَلِيه ،ونزل القرآن باللغتين، قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَل–:(فَلْيملل وليهُ) [سورة البقرة/ ٢٨٢]، وقَالَ تعالى: (فهي تملى عَلِيه) (٤) [سورة الفرقان/ ٥] وزاد الرازيّ، (ت٦٦٦) قوله تعالى: (وليملل الَّذِي عَلِيه الحق) [البقرة / الآية ٢٨٢](٥).

(١) "كشف الظنون": (١/ ١٦١) وقد ذكر بعض المشتغلين باللغة – منهم محمد فريد وجدي في كتابه:»كنز العلوم واللغة» (٨٠٨) أن الأمالي جمع أملية، وهوما يملي على تلاميذه من العلوم. قياساً على ما ورد على هيئته من المصادر. وأنكر عليه ذلك؛ لأن اللفظة لم ترد في كتب الأدب، ولا في معاجم اللغة. انظر «أغلاط اللغويين الأقدمين» لأنستاس الكرمي (ص١٩٧).

(٢) في قوله تعالى: " فهي تملى عليه بكرة وأصيلا" [الفرقان/ ٥] وقوله تعالى [وليملل الَّذِي عليه الحق] [البقرة/ ٢٨٢]

(٣) "لسان العرب": (١٥/ ٢٩١).

(٤) "تهذيب اللغة": (١٥/ ٣٥٢).

(٥) "مختار الصحاح" : (ص٦٣٤).

الثانية: عند العلماء والمحدثين.

والمراد بها عند العلماء ما ذكره حاجي خليفة (١) حين قال: «وهو أن يقعد عالم وحوله تلاميذه بالمحابر، والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً، ويسمونه الإملاء، والأمالي، وكذلك كان السلف من الفقهاء، والمحدثين، وأهل العربية، وغيرهم... وعلماء الشافعية يسمون مثله التعليق»(٢).

وقال الكتاني: «وهو من وظائف العلماء قديماً، وخصوصاً الحفاظ من أهل الحديث، وطريقهم فيه أن يكتب المستملي في أول القائمة: هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا، في يوم كذا، ويذكر التاريخ، ثم يورد المملي بأسانيده أحاديث، وآثار، ثم يفسر غريبها، ويورد من الفوائد المتعلقة بها بإسناد، أو بدونه ما يختاره ويتيسر له»(٣).

ونلاحظ أن كلام الكتاني يتناول الأمالي الحديثية، بينما يأتي كلام حاجي خليفة ليكون أقرب إلى وصف مجالس الإملاء في سائر العلوم.

ومما سبق يمكن القول: إن مجالس الأمالي الحديثية: مجالس خضعت لأسلوب من أساليب التحمل والأداء، يقوم على إلقاء الأحاديث وكتابة الطلاب له، ضمن حركة الحفاظ على السنة النبوية، وفق خصائص، ومقومات محددة.

---

(١) مؤرخ، بحاثة، تركي مستعرب، ولد ونشأ وتوفي في القسطنطينية (١٠٩٧) تولى أعمالًا كتابية في الجيش العثماني زار بغداد والموصل، وديار بكر ثم عاد إلى الأستانة، ثم زار الشام وصحب والي حلب محمد ياسين، ثم ذهب إلى مكة فحج وزار خزائن الكتب الكبرى. ترك كتباً كثيرة من أهمها "كشف الظنون عن أسامي الفنون".

(٢) "كشف الظنون" (١/ ٣٥٢).

(٣) "الرسالة المستطرفة" (ص ١٩).

المسألة الثانية: أهميتها وفوائدها

تتجلى أهمية مجالس الأمالي وأجزاءها في كونها مادة أولية غنية، ومتنوعة، استفاد منها المحدثون خلال مباحثهم المتعددة العصور في حلولهم لكثير من مشاكل الإسناد، والمتن، ولا زالت لكل من يود الرجوع إليها للبحث والدراسة، أو التحليل، والمقارنة. كما أنها تتضمن في مثانيها الكثير من المؤشرات العلمية لحركة الحفاظ على السنة النبوية، وزيادة التبصر في بداية حركة التأليف، وجمع الأحاديث، وتطور حركتها عبر العصور. بالإضافة إلى إسهام مجالسها الفعلي في تربية أجيال عريضة من المحدثين؛ لتكون جزءاً مهماً من منظومة الأساليب، والطرق التربوية الإسلامية، التي أسهمت بها في مسيرة حركة التعلم والتعليم الإنسانية.

يشار إلى أنها –اليوم – من مظان الأحاديث الصحيحة، والحسنة، والمقبولة، ومرد ذلك إلى اعتناء المملي باختيار مادة مجلس إملائه من خيرة مسموعاته، فهي من صفوة ما يمليه المحدث على تلاميذه.

وقد استعرض الحافظ السخاوي شيئاً من فوائدها نحو:

استخراج السقط في السند، والمتن، والتفريق بين المتقدم، والمتأخر من الروايات، والوقوف على ناسخ الحديث، ومنسوخه. وتمييز المهمل من الرواة عند الاشتراك في الأسماء، والإفصاح عن المبهم، أو المدرج، ومعرفة الزيادات في ألفاظ الحديث، وشرح غريب الألفاظ، وضبط غريب السند. والوقوف على الخفي من علل الحديث، ويظهر من خلاله المعاني التي فيها نشاط النفس، وزيادة التفهم، والتفهيم لكل من حضر من أجل تكرر المراجعة في تضاعيف الإملاء، والكتابة، والمقابلة على الوجه المعتبر، وحوز فضيلة التبليغ، والكتابة، ويهذب اللفظ من الخطأ والزلل، ويتضح ما لعله يكون غامضاً من الروايات، وتعيين الاسم المبهم في سند الحديث، أو متنه... وغير ذلك[1]

(١) "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث" للسخاوي: (٣/ ٢٥٠).

المطلب الثاني

مكانة الإملاء وحكم عقد مجالسها.

المسألة الأولى: مكانتها بين طرق التحمل.

تعددت طرق تحمل الحديث، وأدائه عند المحدّثين، أذكرها هنا على ترتيبهم لها، وهي كالتالي: السماع، وهو الإملاء وغيره[1]، والعرض[2]، و القراءة على الشيخ، والإجازة[3]، والمناولة[4]، والمكاتبة[5]،

(١) "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" (ص ٦٩).

(٢) سمي بذلك لأن المحدث يعرض ما يقرؤه على المحدث، قال السخاوي: "وكأن أصله من وضع عرض شيء على عرض شيء آخر، لينظر في استوائهما وعدمه"، "فتح المغيث": (٢/ ١٦٨).

(٣) قال السخاوي في "فتح المغيث" (٢/ ٢١٤): "إنها إذن في الرواية لفظا أو كتباً تفيد الإخبار الإجمالي عرفاً" قال الخطيب في كتابه "الكفاية": (٤٤٧): "يقال: إن الأصل في صحة الإجازة حديث النبي صلى الله عليه وسلم المذكور في المغازي حيث كتب لعبد الله ابن جحش – رضي الله عنه – كتاباً وختمه إليه، ووجهه في طائفة من أصحابه إلى ناحية نخلة، وقال له: لا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ثم أنظر فيه..." ولها أنواع كثيرة استوعبها القاضي عياض في كتابه: "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" (ص ١٠٧) بتحقيق الدكتور: سيد صقر. وهناك كتاب للمحدث العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي بعنوان: "الوجازة في الإجازة" بتحقيق: بديع الزمان محمد شفيع النيبالي.

(٤) وهي: "إعطاء الشيخ الطالب شيئاً من مرويه مع إجازته به صريحاً أو كتابة" (فتح المغيث للسخاوي (٢/ ٢٨٥) وهي على أنواع، أنظرها في "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع": (ص٧٩) و "شرح علل الترمذي" لابن رجب: (١/ ٥٢١).

(٥) وهي أن يكتب المحدث من حفظه سواء أكان بخطه، أو يأمر غيره فيكتب عنه بإذنه، وهو ينقسم إلى قسمين:
مكاتبة مجردة عن الإجازة. وأجاز الرواية بها كثير من المتقدمين، والمتأخرين.
مكاتبة مقرونة بالإجازة. قال ابن حجر: "منع منها قوم إذا تجردت عن الإجازة، والمشهور الجواز: (فتح الباري ١٣/ ١٣٨). وانظر في المكاتبة: "فتح المغيث": (٣/ ٢٨٤-٣٠٣)، "تدريب الراوي": (٢/ ٤٤).

والإعلام(١)، والوصية(٢)، والوجادة.(٣).

ولم يختلف المحدّثون في أن السماع، والعرض، أو القراءة على الشيخ أرفع أوجه التحمل، وإن اختلفوا في أيهما يقدم على الآخر على ثلاثة أقوال، فيما يلي بيانها:

الأول: تقديم القراءة:

وهو قول أبي حنيفة، وابن أبي ذئب وغيرهما، واعتبروا بأن المحدّث لو غلط لم يتهيأ للطالب الرد عليه(٤).

الثاني: المساواة بينهما:

وهو قول الإمام مالك، وأصحابه، ومعظم علماء الحجاز، والكوفة وغيرهم(٥).

قال السيوطي: «وعندي أن هؤلاء إنما ذكروا المساواة في صحة الأخذ بها رداً على من أنكرها لا في اتحاد المرتبة»(٦).

---

(١) قال القاضي عياض: "إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث من روايته وأن هذا الكتاب سماعه فقط، دون أن يأذن له في الرواية عنه، أو بأمره بذلك، أو يقول له الطالب هو روايتك أحمله عنك؟ فيقول له: نعم، أو يقره على ذلك ولا يمنعه" "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" (ص ١٠٨).

(٢) وهي "أن يوصي عند موته بكتاب يرويه". "تدريب الراوي": (٢/ ٦٠).

(٣) وهي "الوقوف على كتاب بخط محدث مشهور يعرف خطه ويصححه، وإن لم يلقه ولا سمع منه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه كتابه هذا وكذلك كتب أبيه وجده بخط أيديهم". "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" (ص١١٦)، وقال بعضهم: "إن الوجادة ليست من باب الرواية، وإنما هي حكاية عما وجده في الكتاب": "أختصار علوم الحديث". (ص ١٢٣).

(٤) انظر أقوالهم في: "الكفاية في علم الرواية": (ص٣١٠-٣١٤)، و "علوم الراوي" للسيوطي: (٢/ ١٤)، "وفتح المغيث شرح ألفية الحديث" للعراقي: (١٨٦) "تدريب الراوي" للسيوطي: (٢/ ١٤)، و "فتح المغيث شرح ألفية الحديث" للسخاوي: (٢/ ١٤٧).

(٥) انظر أقوالهم في "تدريب الراوي" للسيوطي: (٢/ ١٤)، "وفتح المغيث شرح ألفية الحديث" للسخاوي: (٢/ ١٤٧).

(٦) "التدريب الراوي": (٢/ ١٤).

وذلك أنه نسب إلى بعض المحدّثين(١) أن القراءة على المحدّث لا تجزي، وقد انقرض هذا الخلاف كما صرح بذلك ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢) بقوله: «قد انقرض الخلاف في كون القراءة على الشيخ لا تجزي، وإنما كان يقوله بعض المتشددين من أهل العراق. وأورد في ذلك قول إبراهيم بن سعد: «لا تدعون تنطعكم يا أهل العراق، العرض مثل السماع(٢).

الثالث: تقديم السماع:

وهو قول جمهور أهل المشرق وخراسان(٣)، قال القاضي عياض: «وذهب جمهور أهل المشرق وخراسان إلى أن القراءة درجة ثانية»(٤).

وقد ذهب بعض المحققين إلى ترجيح السماع على بقية طرائق الأداء والتحميل، أذَكْر منهم:

١. الحافظ، المحدّث أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣).

٢. الإمام، الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت٥٦٢).

٣. الإمام، الحافظ أبو عمرو بن الصلاح (ت٦٤٢) (٥).

---

(١) قال إسحاق بن يسار، سمعت أبا عاصم – يعني النبيل- يقول: زعم سفيان أن القراءة جائزة، قيل له: كيف يقول إذاً قرأ عليك كتاباً فيه ألف درهم؟ قال: لا بأس أن يقوم أشهدني، وسمعت أبا حنيفة يقوله. «المحدث الفاصل» للرامهرمزي: (٤٢٠) وعدد بعضهم أيضاً السيطي في «تدريب الراوي»: (٢/ ١٣).

(٢) "شرح صحيح البخاري" لابن حجر: (١/ ١٥٠).

(٣) انظر أقوالهم في: "الكفاية في علم الرواية" (ص٣٠٧-٣٠٩)، وأدب الإملاء والاستملاء": (١/ ١٢٢-١٣٤)، و "علوم الحديث"لابن الصلاح: (١٤٢)، و "فتح المغيث" للعراقي: (١٨٦) و "تدريب الراوي" للسيوطي: (٢/ ١٤)، و "فتح المغيث شرح ألفية الحديث" للسخاوي: (٢/ ١٤٧).

(٤) "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" (٧٣).

(٥) "علوم الحديث": (١٤٢).

٤. المحدّث، الحافظ محي الدين النووي(١).

٥. والحافظ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦)(٢).

٦. وجلال الدّين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت٩١١)(٣).

٧. والحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاويّ (ت٩٠٢) (٤).

وكان مما ذكره الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (ت٨٠٦) في ألفيته قوله:

«..... **وعكسه أصح**

وجل أَهْل الشرق نحوه جنح»

وقال في شرحه لهذا البيت من ألفيته: «وذهب جمهور أهل الشرق إلى ترجيح السماع من لفظة الشيخ على القراءة عليه، وهو الصحيح(٥).

وقد عرض الخلاف الإمام الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت٥٦٢) ببيان جميل، وتعبير مشرق فقال: «وأخذ الحديث عن المشايخ يكون على أنواع، منها: أن يحدثك به المحدّث، ومنها أن تقرأ عليه، ومنها أن يقرأ عليه، وأنت تسمع، ومنها أن تعرض عليه، وتستجيز منه روايته، ومنها أن يكتب إليك، ويأذن لك في الرواية، فتنقله من كتابه، أو من فرع مقابل بأصله.

وأصح هذه الأنواع: أن يملي عليك، وتكتبه من لفظه، لأنك إذا قرأت عليه وكتب إليك فهو دون هذه الأنواع... وأما إذا أملى عليك المحدّث وكتبت أنت من

(١) "تدريب الراوي": (٢/ ١٥).
(٢) "فتح المغيث" للعراقي: (١٨٦).
(٣) "تدريب الراوي": (٢/ ١٥).
(٤) "فتح المغيث شرح ألفية الحديث": (٢/ ١٤٧).
(٥) "ألفية العراقي" (ص ١٦٨).

لفظه فلا يتطرق إليه نوع من الفساد؛ لأنه يعرف ما يملي وأنت تسمع، وتفهم ما تكتب»(٦).

المسألة الثانية:حكم عقد مجالس الإملاء للمحدث.

وقال الخطيب البغدادي: «يستحب عقد مجالس لإملاء الحديث؛ لأن ذلك أعلى مراتب الراوين، ومن أحسن مذاهب المحدّثين(٧) ونقل قول أبي طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني السلفي (٥٧٦) (٨):

وأطب نفساً على كتب الأمالي

جاهدا من ألسن الحفاظ والفضلاء

فأجل أنواع العلوم بأسرها

ما يكتب الإنسان في الإملاء(٩).

المطلب الثالث

أركان الإملاء

من خلال الاطلاع على ما كتبه المتقدمون حول مجالس الإملاء، والقواعد التنظيمية، والإجراءات التي رافقت هذا الأسلوب التعليمي يمكن القول إن للإملاء أركاناً ثلاثة، وهي كالتالي:

الركن الأول: المملي.

الركن الثاني: الطالب.

(٦) "أدب الإملاء والاستملاء": (١/ ١٢٢-١٣٤).
(٧) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ٥٥).
(٨) في ترجمته ينظر: "سير أعلام النبلاء": (٢١/ ٥).
(٩) "أدب الإملاء والاستملاء" (١/ ١١٢/ ١٣٤)، و "فتح المغيث": (٢/ ٣٣٣).

الركن الثالث: المادة العلمية.

وسأتناول هذه الأركان بشيء من الإيضاح الموجز فيما يلي:

الركن الأول: المملي.

وتحت هذا الركن عدد من المسائل التي توضحه، وتكشف عن أبعاده وحدوده، وهي كالتالي:

المسألة الأولى: المراد به وشروطه.

وهو – هنا – المحدّث – ولم يكن يرقى لهذه المكانة إلا كبار المحدّثين الذين تنطبق عليهم الشروط الواجب توافرها في المملي، والتي لا تخرج عن ما تم الاتفاق عليه بين النقاد من المحدّثين عموماً من أن أهم معايير المحدّث المتصدر لذلك ما يلي:

- العدالة(١) أو (القيم الأخلاقية الرفيعة)

والمراد –بها– ما ذكره الحازميّ (ت٥٩٤هـ) بقوله: «وصفات العدالة هي إتباع أوامر الله تعالى، والانتهاء عن ارتكاب ما نهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحري الحق، والتوقي في اللفظ مما يثلم الدين والمروءة وليس يكفيه في ذلك اجتناب الكبائر حتى يجتنب الإصرار على الصغائر، فمتى وجدت هذه الصفات كان المتحلي بها عدلاً مقبول الشهادة»(٢) وهذا الشرط هو ما يكفل التأكد من تحقق المستوى الأخلاقي الرفيع للمملي الذي سيجلس الطالب بين يديه.

- الضبط، أو التمكن من التخصص:

أو ما اصطلح المحدّثون للتعبير عنه بالضبط.

(١) (ص٥٥) وشروط العدالة خمسة، هي: الإسلام، والبلوغ،والعقل،والسلامة، من أسباب الفسق، والسلامة من خوارم المروءة.
(٢) (ص ١٠٨).

والضبط نوعان: ضبط صدر، وضبط كتاب. أما ضبط الصدر: فهو أن يثبت الراوي في صدره ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء. أما ضبط الكتاب: فهو صيانة الراوي لكتابه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه(١).

قال الحافظ ابن الصلاح: (ت٦٤٣) «أجمع جماهير أهل الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه وتفصيله أن يكون مسلماً، بالغاً، عاقلاً، سالماً من أسباب الفسق(٢)، وخوارم المروءة»(٣).

وقال – أيضاً-: «يُعرف كون الراوي ضابطاً بأن نعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان. فإن وجدنا رواياته موافقة لهم ولو من حيث المعنى لرواياتهم، أو موافقة لها في الأغلب، والمخالفة نادرة عرفنا حينئذ كونه ضابطاً ثبتا، وإن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلاف ضبطه، ولم يحتج بحديثه»(٤).

المسألة الثالثة: القواعد والتنظيمات الإجرائية لمجلس الإملاء.

حظي مجلس الإملاء بكثير من القواعد والتنظيمات الإجرائية لتنظيم المجلس، والاستفادة من انعقاده، وتهيئة البيئة المناسب له، لأداء رسالته السامية، أذكر منها هنا ما يلي:

(١) نزهة النظر: (ص١٩).
(٢) الفسق هو ارتكاب الكبيرة، أو الإصرار على الصغيرة. مدارج السالكين: (١/ ٣٢١)، وقواعد الأحكام في مصالح الأنعام" (١/ ١٩).
(٣) لها العديد من التعريفات، ومردها جميعاً إلى التعريف الذي ذكره طاهر الجزائري – رحم٩ الله – في كتابه «توجيه النظر إلى أصول الأثر» (ص٢٨-٢٩) قال: «هي آداب نفسانية، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات» وكان سبب اشتراط ذلك»أن الإخلال بها إما أن يكون لخبل في العقل، أو لنقصان في الدين، أو لقلة حياء وكل ذلك رافع للثقة بقوله» «توجيه النظر» (ص ٢٩).
(٤) المقدمة، ص ٧٥.

أولاً: التحديد المسبق من المحدّث لزمان المجلس.

كان تحديد الزمان لوقت الإملاء جزء من منظومة ثقافية أسلامية شاملة تحترم في بنيتها الوقت، وتقدر بشدة أهميته، في إضافة عميقة للمفاهيم التعليمية التي قدمتها التربية الإسلامية للبشرية جمعا.

ومن ذلك أن المملين كانوا يعينون يوماً، ووقتاً محدداً للإملاء فيه، لئلا ينقطع التلاميذ عن شغلهم، أو يرتبك حبل مواعيدهم الأخرى، وليستعدوا لإتيانه، ويعد بعضهم بعضاً في ذلك، وإذا عين لهم يوماً، ووعدهم بالإملاء فيه، لم يكن يخلفه، أو يتأخر عنه إلا أن يقطعه عنه أمر يقوم عذره به(١)، وعلى أثر ذلك يتسابق الطلاب في البكور إلى المجلس خوفاً من فوات المجلس بتأخير الحضور، وربما تعذر عليهم سماعه من الشيخ؛ لأن بعضهم كانت عادته التمنع – أحياناً – من الإعادة كسفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، والأعمش وجماعة كثيرة(٢).

وكان كل محدِّث يستحب أن لا يملي في الأسبوع إلا يوماً واحداً أو اثنين، فإن أكثر فثلاث مرات، حتى لا يمل الطلاب، ويستأنسوا في ذلك بما جاء عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه كان يذكر الناس في كل يوم خميس، فقال له رجل: «لوددنا أنك ذكرتنا كل يوم»، قال: «أما إنه يمنعني من ذلك إلا إني أكره أن أملكم، وأني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا»(٣).

---

(١) المصدر السابق: (١/ ٢٤١).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي، (٢/ ١١٧-١١٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: "ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة"، ومسلم في "الصحيح" (٤/ ٢١٧٢) "كتاب صفات المنافقين وأحكامهم". ونحوه ما في البخاري "كتاب الرقاق": باب: ما يكره من السجع في الدعاء" (٥/ ٢٣٣٤- برقم ٥٩٧٨)، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإذا أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا تأتب القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثه، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم، وهم يشتهونه".

وأما عن تعيين يوم محدود للإملاء فيه، فقد اختلف منهج المحدّثين في تعيين يوم محدد للإملاء.

فكان بعضهم يجعل مجلس الإملاء كل يوم خميس، أسوة بما جاء أن أبا هريرة - رضي الله عنه - كان يقوم كل خميس فيحدثهم(١).

وجاء مثله عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فيما رواه تلميذه عمرو بن ميمون قال: «كان عبد الله بن مسعود يقوم كل خميس...» قال: «وكان لا يخطئني عشية خميس إلا أتيته فيها»(٢).

وكان أبو نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠) ممن يملي في كل يوم خميس بـ«أصبهان»(٣).

وكان بعضهم يملي كل أربعاء، ومنهم: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن إسحاق الجوهريّ (٤) (ت٣٣٢هـ)، وإسماعيل بن محمد الصفار وغيرهما (٥).

وكان بعضهم يملي يوم الاثنين، ومنهم: أبو سهل بن زياد القطان: (ت٣٥٠)، فكان يملي كل اثنين في محله «دار قطن» ببغداد(٦).

وكان بعضهم يملي كل ثلاثاء، ومنهم: أحمد بن سلمان النجاد الحنبلي (ت٣٤٨) (٧) وكان ذلك منه لخاصة طلابه فقد كان له مجلس يوم الجمعة في «جامع المنصور» قبل الصلاة، وبعدها، إحداهما للفتوى، والثانية لإملاء الحديث(٨).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "السنن" (١/ ١١-١٨)، والإمام أحمد في "المسند": (٦/ ١٥٤/ ١٥٥).
(٢) ابن ماجة في "السنن": (١/ ١٠-١١) والإمام أحمد في "المسند": (٦/ ١٥٤-١٥٥).
(٣) وهو ما ذكره عنه تلميذه الخطيب البغدادي: "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ٦٤).
(٤) تاريخ بغداد، (٩/ ٣٨٨).
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (٢/ ٦٥).
(٦) المصدر السابق: (٢/ ٦٦).
(٧) المصدر السابق: (٢/ ٦٦).
(٨) تاريخ بغداد، (٤/ ١٨٩).

وظل يوم الجمعة اليوم المثالي عند جل علماء الحديث في عقد مجلس الإملاء، لفضله، واجتماع الناس فيه. بل حدى الأمر بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣) أن أوجب على المحدّث أن لا يخلي يوم الجمعة من الإملاء في مسجد جامع(١). وقال في موضع آخر: «وكان كافة من أدركنا من الشيوخ يقرأ عليهم الحديث قراءة، وبعضهم كان يجعل في كل أسبوع يوماً للإملاء خاصة، وبقية الأيام للقراءة»(٢).

ومع ذلك؛ فقد عمد عدد من المحدّثين- أيضاً- إلى تخصيص يوم آخر في الأسبوع مع الجمعة للإملاء، كأبي بكر الشافعي الذي كان يملي على الناس في جامع المدينة يوم الجمعة، وفي مسجده بـ «درب القصارين» يوم الثلاثاء(٣).

وبالجملة فإن تعيين الزمان كان المراد منه التنظيم لوقت المحدّث والطالب، فلربما لم يناسب المحدّث من الوقت إلا عقب العشاء الآخرة كما جاء عن هُشيم أنه قال:» لو قيل لمنصور بن زاذان- (ت١٣١)-: إن ملك الموت على الباب. ما كان عنده زيادة في العمل». قال: «وذلك أنه يخرج فيصلي الغداة في جماعة، ثم يجلس، فيسبح حتى تطلع الشمس، ثم يصلي إلى الزوال، ثم يصلي الظهر، ثم يصلي إلى العصر، ثم يجلس فيسبح إلى المغرب، ثم يصلي إلى العشاء الآخرة، ثم ينصرف إلى بيته، فيكتب عنه في ذلك الوقت»(٤).

ثانياً: التحديد المسبق من المحدّث لمكان المجلس.

وذلك من الإجراءات التنظيمية التي تناط بالمملي بعد اتساع جمهور مجالس الإملاء، وكثرة روادها، ويمكن باستعراض المادة العلمية والتاريخية والوثائقية ذات الصلة بمجالس الإملاء، القول أن بتعدد الأماكن التي كانت تجرى فيها مجالس الإملاء وتعددها تبعاً للحاجة القائمة:

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (٢/ ٧١).
(٢) المصدر السابق: (٢/ ٦٦).
(٣) المصدر السابق: (٢/ ٦٦).
(٤) حيلة الأولياء: (٣/ ٥٨)، "تذكرة الحفاظ": (١/ ١٤١).

أولاً: منازل المحدّثين:

كانت تستخدم في كثير من الأحيان لأغراض التحديث، حتى مع تكاثر الطلاب، وازدياد الرغبة عند الناس في سماع الإملاء، ولربما ضاق المكان فيتصل المجلس إلى فناء الدار.

فقد كتب طائفة من المحدّثين الحديث عن أسرهم، وهي مزية لا تكاد توجد إلا لمن حظي بأسرة ذات اهتمام حديثي، حرصت على أن ينتظم الأبناء في سلك علم الحديث، وأهله، فنشأ الابن على ذلك، وهو ما ذكره الإمام أبو حاتم الرزايّ (ت٢٧٧) قال: قال أبو زرعة الرازيّ (ت٢٦٨): «ما رأيت أحرص منك على طلب الحديث!!». فقلت له: «إن عبد الرحمن ابني لحريص!» فقال: «من أشبه أباه فما ظلم!». قال الرقام: «فسألت عبد الرحمن عن اتفاق كثرة السماع له، وسؤالاته لأبيه؟»، فقال: «ربما كان يأكل فأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء، وأقرأ عليه، ويدخل البيت، وأقرأ عليه»(١).

ولذا فلا غرابة أن أسراً علمية عريقة في علم الحديث، عرفت به، وارتوت من منبعه الصافي، حتى أضحى مجرد ذكرها رمزاً لعلم الحديث أو إشارة إليه، وهو ما أدى إلى نشأة فرع كبير من فروع علم الحديث مرتبط بالأسرة، وهو رواية الأبناء عن الآباء، ورواية الآباء عن الأبناء (٢).

وكان المنزل مركزاً للعلم يؤمه طلاب الحديث لسماع الإملاء من صاحب الدار الذي يكون طبيعة الحال أحد علماء الحديث، والأمثلة على ذلك وافرة عند المحدّثين، ومنها بيت المحدّث الشهير أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش: (ت١٤٨) (٣)،

(١) "سير أعلام النبلاء": (١٣/ ٢٥١).
(٢) ومن أهم المؤلفات في ذلك كتاب "من روى عن أبيه عن جده" الذي حققه: الأستاذ الدكتور: باسم بن فيصل الجوابرة في أطروحته للعالمية بـ "الجامعة الإسلامية" بـ "المدينة النبوية".
(٣) "تاريخ بغداد": (١٢/ ٨٩-٩٠).

ومثله المحاملي -صاحب الأمالي المشهورة- الذي خصص مجلسه لذلك سنة (٢٧٠) وكان يعقد كل أربعاء، وظل حتى وفاته سنة (٣٣٠) (١).

ثانياً: المساجد والجوامع.

حظيت المساجد بقصب السبق في استقطاب غالب مجالس الإملاء، وكانت سواري المسجد المكان المحبب للعلماء في ذلك (٢)، وكانت المساجد آنذاك – ولا زالت – نوعين:

أولهما: المسجد الجامع.

ثانيهما: المسجد المحلي.

وكان الثاني غالباً ما يكون للأحياء الصغيرة التي يؤدون فيها الصلوات الخمس، فإذا كان يوم الجمعة انضم الجميع إلى جماعة المسجد الجامع. وكلاهما أملى فيهما علماء الحديث، نحو ما جاء أن أبا بكر الشافعي رحمه الله الذي كان يملي في جامع المدينة الكبير يوم الجمعة، ويملي في مسجده المحلي بـ «درب القصارين» يوم الثلاثاء(٣).

ثالثاً: الساحات والأماكن العامة.

ولم تنحصر مجالس الإملاء في المساجد، والدور فقط، بل لربما عظم الجمع، فحصل الاجتماع في رحبة واسعة، أو شارع فسيح، نحو ما جاء أن الإمام المحدّث، المعمر أبا إسحاق، إبراهيم بن علي الهجيميّ المتوفى (٣٥١) كان يجلس على سطح له، ويمتلئ «شارع بلهجيم» بالناس الذين يحضرون، ويبلغ عنه المستملون، وذلك لكثرة

(١) المصدر السابق: (٨٠/ ١٩).
(٢) وقد نقل استحباب المحدثين لذلك، الحافظ الخطب أحمد بن علي البغدادي (ت٤٦٣هـ) في: "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ٧١).
(٣) تاريخ بغداد، (٤/ ١٨٩).

الناس، فقد كان الطالب الحريص منهم يأتي في السحر – قبل الفجر- فيجد الأماكن المتقدمة قد غصت بالحاضرين(١).

ومثل أبي مسلم الكجيّ (ت٢٩٢) (٢) الذي أملى حين قدومه في رحبة واسعة تدعى «رحبة غسان» ثم مسحت الرحبة، وحسب من حضر بمحبرة فقط، فبلغ ذلك أربعين ألف محبرة سوى النظارة(٣). ونحوهما جعفر بن محمد الفريابي (ت٣٠١) الذي وعد الناس إلى «شارع المنار» بـ «باب الكوفة» في «بغداد» ليسمعوا منه، وذلك لما ورد على «بغداد»(٤).

رابعاً: المدارس والمعاهد.

ولما بنيت المدارس، وأنشئت في العهود الإسلامية الزاهرة كانت قاعاتها مكاناً آخر لإلقاء الإملاء على التلاميذ. ومن تلك المدارس والجامعات المشهودة المشهورة: المدرسة النظامية، والمدرسة السعدية، والمدرسة البيهقية، وغيرها(٥).

خامساً: مجالس الخلفاء، وقصور الحكام.

كما لم تخرم مجالس الخلفاء، وقصور الحكام شرف عقد مجالس الإملاء فيها، وبحضور الأمراء، وكبار رجالات الدولة. ومن أقدم من نقل عنه ذلك الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر، أبو حمزة الأنصاري، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي سنة (٩٣) (٦) فجاء عنه أنه كان يملي والناس يكتبون حوله في مدينة واسط بالعراق وفي قصر أمير العراق آنذاك(٧).

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (٢/ ٦١).
(٢) له ترجمة في تاريخ بغداد، (٦/ ١٢٠)، و "سير أعلام النبلاء": (١٣/ ٤٢٣)، و "شذرات الذهب": (٢/ ٢١٠).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (٢/ ٦٠).
(٤) تاريخ بغداد، (٧/ ٢٠٢).
(٥) وانظر في ذلك ما كتبه الأستاذ/ عبد الوهاب حمود رحمه الله في مجلة الأزهر (المجلد/ ٢٤- الجزء/ ٦- جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢هـ).
(٦) الاستيعاب" (١٠٨)، و "أسد الغابة": (١/ ١٥١)، و "الإصابة": (١/ ٧١).
(٧) تاريخ بغداد، (٨/ ٢٥٩).

ولربما كان فرسان هذا المضمار الخلفاء أنفسهم، فقد جاء أن الخليفة العباسي المأمون كان ممن أملى إذ يذكر محمد بن سلام الجمحي، أنه «قيل للمنصور(١): «هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تنله»؟! قال: «بقيت خصلة!، أن أقعد في مصطبة، وحولي أصحاب الحديث فيقول المستملي: من ذكرت رحمك الله»!!» قال:» فغدا عليه الندماء، وأبناء الوزراء بالمحابر، والدفاتر....» (٢).

رابعاً: العناية بالهيئة والمظهر الخارجي.

كان من صفات المملي العناية بإصلاح هيئته، ومظهره الخارجي، وخاصة قبل الدرس ليكون على أكمل هيئة، وأفضل زينة، ويجسد معنى ذلك ما قاله يحيى بن بكير (ت٢٣١) عن الإمام مالك بن أنس: (ت١٧٩) أنه كان إذا عرض عليه «الموطأ» لبس ثيابه، ويأخذ ساجه(٣)، وعمامته، ثم أطرق، ولا يتنجم، ولا يعبث بشيء من لحيته حتى يفرغ من القراءة، إعظاماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤).

ومن تلك المفردات التي ذكرت في تعاهد النفس بإصلاح أموره التي تجمله عند الحاضرين، البدء بالسواك، والحرص على قص الأظافر، والأخذ من الشارب، والعناية بإصلاح شعث الرأس، ولبس الأبيض من الثياب، وتكوير العمامة، وتسريح اللحية، واستعمال الطيب، ثم النظر في المرآة تهيئة للنفس قبل خروجها إلى الناس(٥).

وفي هذه العناية الفائقة بالمظهر الخارجي للمحدث، وما تضمنته دلالة واضحة على السبق الذي حققوه على التربويين المعاصرين في توظيفهم الشكل العام لإيجاد

(١) الخليفة العباسي، أبو جعفر، عبدالله بن محمد بن علي العباسي الهاشمي (ت١٥٨).
(٢) "أدب الإملاء والاستملاء"، (١/ ١٦٢-١٦٣).
(٣) الساج، الطليلسان، "القاموس المحيط": (١/ ٢٠٢) ساج.
(٤) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (١/ ٣٨٥)، "وأدب الإملاء والاستملاء". (١/ ١٩١).
(٥) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٥٨٦-٦٤٢)، و"أدب الإملاء والاستملاء": (١/ ١٨٨-٢١٤).

علاقة تقبل للمعلم عند المتعلم، هذا بالإضافة إلى ما يسهم به ذلك من استعداد نفسي، وجسدي مسبق من قبل المملي، للقيام بواجبات، وحقوق مجلس الإملاء عليه.

كما حرص المملون على أن تكون هيئة سيرهم إلى مجلس الإملاء طريقة مميزة يسبغها الاحترام، ومراعاة حقوق الآخرين ، والقصد فيه، والبدء بالسلام على الكافة حتى الصبيان منهم غير البالغين(١)، خوفا من الوقوع في مزالق التكبر أو الغرور نتيجة لما قد يحفه من مظاهر التوقير والحفاوة البالغة من قبل التلاميذ والناس، والتي كانت حاضرة في مسيرة وأدبيات الحراك التعليمي في الأزمنة السابقة.

خامسا: الجلوس في مكان بارز وافتتاح المجلس.

استحب المملون أن يكون جلوسهم في مكان بارز – أو موضع مرتفع – بحيث يمكن لجميع الطلاب رويته، ويتأكد ذلك فيما إذا كثر عدد من يحضر السماع، وعز رؤية وجه المملي، حتى يبدو للطلاب وجهه، ويبلغهم صوته(٢)، وكما اتفقوا على أن يبدأ المجلس بقراءة سورة من القرآن قبل أن يشرع المملي في الإملاء (٣)، ثم يفتتح حديثه بالتسمية وقوله: «الحمد لله رب العالمين والصلاة على النبي الأمين»، ويشرع في الإملاء.

الركن الثاني: الطالب

مع ما تضمنته العملية التعليمية، والتربوية عند المحدّثين من فتح أفق واسع للحرية التعليمية في اختيار المحدّث للمكان، والزمان، والمادة العلمية التي يرى نفسه في حاجة إليها، فإنها كانت تخضعه لقواعد وضوابط يجب عليه أن يسير في نهجها ليحقق لنفسه ما يصبو إليه فيما انتهجه من طريق، وفي ذلك يقول أبو سعد السمعانيّ:

(١) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" :(١/ ٥٨٦).
(٢) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" :(١/ ٤١٣)، و"أدب الإملاء والاستملاء" :(١/ ٢٨٧)، تدريب الراوي" :(٢/ ١٣٤).
(٣) انظر أقوال العلماء تفصيل ذلك فيما فصله السخاوي في "فتح المغيث" (٣/ ٢٥٥).

(ت٦٥٢): «ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام، باستعمال آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم- ما أمكنه- وتوظيف السنن على نفسه»(١).

وكان طلاب الحديث يحظون بعناية المحدّثين في ذلك، منذ الصغر لأخذهم إلى معالي الأمور، والوصول بها إلى الأهداف المرومة.

وكان من أولى الأمور التي يوصي بها المحدّثون الطلاب هو توجه القلب إلى صحة القصد، والإرادة بذلك وجه الله – عز وجل-.

قدر طلاب الحديث الوقت تقديرهم للحياة، بكل حركة وسكون، ولم يغب عن بالهم أهميته، وأهمية صرفه فيما ينفع من طلب العلم، وتجلى ذلك في حرصهم على مواعيد الإملاء بالبكور إليها، وتجشم عناء المشقة في سبيل ذلك، وفي ذلك يقول علي بن المديني، عن شريك: «صليت مع أبي إسحاق – يعني الهمذانيّ – ألف غداة»(٢) أما الروايّ عن شريك- الإمام علي بن المدينيّ (ت٢٣٤)- فكان تلاميذه يأخذون في مجلسه وقت العصر ليوم المجلس التالي، فيقعدون طوال الليل مخافة أن لا يلحقوا من الغد موضعاً يسمعون فيه»(٣)، إن حضر الطالب متأخراً جلس في المكان الذي يجده خالياً، ولا يتخطى رقاب الناس.

كما ظهرت صورة المملي في أعينهم جليلة محترمة ويعكس ذلك لنا احترام المملي الإجراءات التطبيقية، والسلوكية التي مارسها الطلاب.

ونحوه ما قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤): «ما استأذنت قط على محدث، كنت أنتظره حتى يخرج إليّ، وتأولت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ...﴿٥﴾﴾ (الحجرات) (٤).

(١) " أدب الإملاء والاستملاء" : (٢/ ٤٤٢).
(٢) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ١٥٠)، و "آداب الإملاء والاستملاء" (٢/ ٤٤٩).
(٣) "آداب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٤٥١).
(٤) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٢٣٤).

ويكون الاستئذان على المحدّث ثلاثاً، وإن طلب منه الانتظار بقي مكانه، فإن كان معه من هو أكبر منه قدمه في الدخول، ومما ذكر في ذلك أن الحسن (ت١٩٩) وعليا (ت١٥١) ابني صالح بن حي الهمدانيّ الثوري كانا توأما، فخرج الحسن قبل علي، فلم ير قط الحسن مع عليّ في مجلس إلا جلس علي دونه، ولم يكن يتكلم مع الحسن إذا اجتمعا في مجلس»(١).

فإن قدم الأكبر على نفسه من كان أعلم منه كان حسناً، نحو ما قال الحسين بن منصور: «كنت مع يحيى بن يحيى وإسحاق- يعني: ابن راهويه- وقال ليحيى: تقدم. فقال يحيى لإسحاق: «تقدم أنت». قال: «يا أبا زكريا! أنت أكبر مني». قال: «نعم، أنا أكبر منك، وأنت أعلم مني!». فتقدم إسحاق(٢).

كما ضمنوا آداب الطالب إذا دخل على المملي أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولا يتخطى الرقاب، فإن وسعوا له بقية الطلاب فليقبل، ومن ذلك ما قاله: أبو محمد اليزيدي قال: «أتي الخليل بن أحمد (ت١٧٠) (٣) في حاجة، فقال لي: «هنا، هنا يا أبا محمد»! فقلت: «أضيق عليك». فقال لي: «إن الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضين، وإن شبراً لا يضيق عن متحابين»(٤).

والأمثلة التطبيقية على هذه المثل العليا من وقع حياة المحدِّثين تحفل بها كتب التراجم، والسير، وهي جديرة بالتقفر، والدراسة المستقلة.

---

(١) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٢٥٥).
(٢) المرجع السابق: (١/ ٢٥٥).
(٣) ابن عمور الفراهيدي، ومؤسس علم العروض، أحد أئمة اللغة، والأدب، "التقريب".
(٤) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٢٦٦). وفي هذا المعنى أنشد محمد ابن معقل الأردي لنفسه.

لم يضق مجلس بأهل وداد
قط لكنه فسيح رحيب
بسط الفضل بينهم من بساط
السود ما استجمعت عليه القلوب

ونحو ذلك – أيضاً – إذا رجع المملي في شيء، فليعظمه في خطابه بما هو أقل له، كأن يقول: يا «أستاذ»، أو يا «عالم»، أو يا «حافظ» ونحو ذلك، وإن كناه في خطابه كان أفضل.

كما كان حضور الطالب في مجلس الإملاء يخضع لأخلاقيات وأدبيات إجرائية من جلوسه إلى مغادرته؛ فإن خالف الأدب في مجلس الإملاء حق للمملي أن لا يأبه بحضوره. ومن ذلك يروى أن بعض ولد المهدي – الخليفة العباسي – جاء إلى الأمام المحدّث شريك فاستند إلى حائط، وسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه! فأعاد عليه المسألة، فلم يعبأ به!!، فقال: «كأنك تستخف بأولاد الخلفاء»؟! فقال: «لا، ولكن العلم أجل عند أهله، من أن يضيعوه» فجثا على ركبتيه ثم سأله، فقال: «هكذا يطلب العلم»(١).

وكان الأسوة في ذلك لهم الطلاب الأوائل في مدرسة الحديث النبوي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يصفهم واحد منهم هو الصحابي الجليل: أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – حين قول: «ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المنبر... وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير...»(٢) .

ومما يروى في ذلك من الأمثلة التطبيقية، ما يلي:

---

(١) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ١٩٨)، و "أدب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري في "الجامع الصحيح" (٣/ ١٠٤٦ – برقم ٢٦٨٢) باب: فضل النفقة في سبيل الله، كتاب الجهاد.

قال أبو بكر الأنباري: «قولهم: جلساء فلان كأنما على رؤوسهم الطير. في هذا قولان: أحدهما: أن يكون المعنى أنهم يسكنون فلا يتحركون ويغضون أبصارهم والطير لا تقع إلا على ساكن. أي: كأن على رأسه طيراً لسكونه.القول الثاني: أن الأصل في قولهم: كأنما على رؤوسهم الطير أن سليمان بن داود كان يقول للريح: أقلينا، وللطير» أظلينا، فتقله وأصحابه الريح، وتظلهم الطير، وكان أصحابه يغضون أبصارهم هيبة له، وإعظاماً، ويسكنون فلا يتحركون، ولا يتكلمون بشيء إلا أن يسألهم عنه فيجيبوا، فقيل للقوم إذا سكنوا: هم علماء، وقراء كأنما على رؤوسهم الطير، تشبهاً بأصحاب سليمان صلى الله عليه وسلم»مجمع الأمثال: للميداني (٢/ ١٤٦ رقم ٣٠٤٩)

ما قاله أحمد بن سنان القطان قال: «كان عبد الرحمن بن مهدي: (ت١٩٨)(١) لا يتحدث في مجلسه، ولا يبرى فيه قلم، ولا يتبسم أحد فإن تحدث، أو يرى قلم، صاح، ولبس نعليه، ودخل!».

وكذا كان يفعل الإمام، الحافظ محمد بن عبد الله بن نمير الهمدانيّ: (ت٢٣٤).

وكذلك الأمر في مجلس إمام الحديث وكيع بن الجراح الكوفي: (ت١٩٧) فقد شبه حال الطلاب في مجلسه كأنهم في صلاة(٢)، من حسن الإنصات، والهدوء التام.

والعجب ليس من ذلك فحسب، بل من الهدوء السائد في مجالسهم التي كان يحضرها آلاف التلاميذ، وربما عشرات آلاف من الطلاب، وهم في هدوء، وتعظيم للمحدث، والمجلس، والمادة التعليمية التي تقدم لهم، فكيف بنا اليوم، مع كل الضجيج، والصخب بالنظريات التربوية المعاصرة!.

والحق أن ذلك منهم كان مبدأ تربوياً نبيلاً، يسعى من خلاله المحدّثون إلى مساعدة الطالب على الفهم؛ لأن عدم الإنصات يؤدي إلى عدم استفادة الطالب من المجلس، وبالتالي لا يصح له المصدر في معلوماته التي تشكل القوام العلمي لطالب الحديث.

بالجملة فإن تبجيله وتوقيره لمجلس المحدّث، بحسن الاستماع والإصغاء عند الإملاء، واستقباله بالوجه، وعدم الانصراف عنه، والتواضع له فيه، ومداراته والرفق به واحتماله (٣)، كانت صفات رفيعة تلزم الطالب المحافظة عليها في مجلس الإملاء، ويضرب الإمام الشافعي في ذلك مثلاً مع شيخه الإمام مالك (ت١٧٩)- رحمه الله – بقوله: «قدمت المدينة، فرأيت من مالك بن أنس – رضي الله عنه – من

(١) أحد كبار أئمة الحديث، قال فيه الشافعي: "لا أعرف له نظيراً في الدنيا"، له ترجمة في "الجرح والتعديل" (١/ ٢٥١).
(٢) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٢٩١).
(٣) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ١٩٢)، و "آداب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٥٣٨).

هيبة، وإجلاله للعلم، فازددت لذلك أدباً، وربما كنت أكون في مجلسه، فأريد أن أصفح الورقة فأصفحها صفحاً رفيقاً هيبة له، لئلا يسمع وقعها»(٤).

كما كان من القواعد المستحبة لطالب الحديث إذا حضر مجلساً للإملاء أن يكون عنده ما يلزم نحو: القلم، والكاغَدْ(معروف بفتح الغين والدال المهملة وهو معرب)، ونسخة المجلس إن كان ثم نسخة سابقة، وكانوا يعدون الحضور بغير ذلك، وبلا نسخة ذلاً للطالب من جهة ما يلحقه من الاضطرار إلى النظر، ومطالعة نسخ زملائه من الطلاب، إضافة إلى ما يفوته من الفوائد، والتصحيحات، والتنبيهات.

وكان من حسن صنيعهم اهتمامهم بأدب السؤال للمحدّث، لعلمهم أنه سبيل إلى الوصول إلى مطلوبهم، وأنهم إن خالفوا ذلك لربما لم يأبه به أحد، نحو ما ذكر أن ابن عجلان جاء إلى زيد بن أسلم فسأله عن شيء فخلط عليه، فقال له زيد: «اذهب فتعلم كيف تسأل، ثم تعال فسل»(٥).

وكانوا يحددون الغامض بدقة في الذهن قبل السؤال، ليسهل طرحه وبيانه في الوقت المناسب للشيخ، ولربما كتب الطالب ما يدور في ذهنه على رقاع من الورق، يكتب فيها أوائل الأحاديث، وأطرافها فقط للإشارة إلى ما يريدون.

كما تنبهوا إلى أهمية الانتباه، والتركيز الذهني في المجلس، والسعي لمراجعة ما سبق حتى لا يذهب منه كما قال الإمام يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨): «ينبغي في طلب الحديث غير خصلة، أن يثبت في الأخذ، ويفهم ما يقال له، ويتعاهد ذلك من نفسه فحياة العلم مذاكرة(٦)».

وكان بعض الطلاب يأخذ بمبدأ عدم التعجل في التحمل بالعلم، كما جاء عن سفيان الثوري (ت١١٦) قال: «كنت آتي الأعمش ومنصوراً، فأسمع أربعة

(٤) مقدمة "المجموع" لمحيي الدين النواوي: (١/ ٣٦).
(٥) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٢١٣).
(٦) المصدر السابق: (١/ ٢٣٢).

أحاديث، أو خمسة، ثم أنصرف كراهة أن تكثر، وتفلت[1].. ونحوه ما جاء عن شعبة بن الحجاج (ت١٦٠) قوله» «كنت آتي قتادة، فأسأله عن حديثين، ثم يقول: «أزيدك»؟ فأقول: «لا، حتى أحفظهما، وأتقنهما»[2].

ولربما رأى آخرون من أنفسهم القدرة على الإكثار، وكانت ظروفهم لا تسمح لهم بهذا الضرب من التعليم، لأسباب تتعلق بالسفر، والترحال، والحاجة إلى سرعة الرجوع عند بعض التلاميذ.

وبالجملة فقد كان الطالب محوراً أساسياً من محاور اهتمام حركة تدوين السنة ونشرها، والذب عنها، كما هو شأنه في مجالس هذه الطريقة من طرائق نشر السنة وحفظها، وتدريسها، ولذا فقد توسعت دائرة المبادئ والمواثيق الأخلاقية، والآداب المرعية التي تحف به، وتنظم له مسيرته في هذا العلم النبيل المبدأ، والغاية، بدءاً من تصحيح النية، وانتهاءً بأساليب كتابته في المجلس، والأدوات المستخدمة لكل ذلك.

الركن الثالث: المادة التعليمية

وتحتها ثلاثة مسائل:

الأولى: إعداد المادة العلمية:

كان من الوظائف الكبرى التي يطلع بها المملي قيامه بإعداد المادة العلمية التي يرغب في تقديمها للطلاب في المجلس، وذلك بقيامه بمراجعة أصوله الخطية، وما تضمنتها من أحاديث، وفوائد، ثم ينتخب منها ويخرج لنفسه أحاديث للمجلس عبر نقلها من أصولها إلى فروعها بخطة، وربما عرضها على من يثق به، وبمعرفته، وفهمه، ليتأكد من سلامة ما استنسخ، ويصلح ما يجد من خلل إن وجد فيها.

(١) المصدر السابق: (١/ ٢٣١).
(٢) "تاريخ بغداد": (٩/ ٢٦٥).

وحسبنا أن هذا هو الأصل في مجالس الإملاء بأن يعد المملي المادة العلمية التي سيقدمها في المجلس، إلا أن هناك مسرباً آخر كان للحالات الخاصة، الظروف الطارئة، ويكون فيما إن لم يكن المملي من أهل المعرفة الدقيقة بعلل الحديث، واختلاف الطرق، أو عجز عن ذلك لكبر، أو ضعف بدن، أو عمى ونحوه، فآنذاك يستعين ببعض الحفاظ العارفين من علماء وقته، ليساعدوه في تخريج الأحاديث التي يرغب إملاءها في المجلس، وقد نقل – لنا – الخطيب أسماء عدد ممن فعل ذلك فقال:

«... فمنهم أبو الحسين بن بشران، كان محمد بن أبي الفوارس يخرج له الإملاء، والقاضي أبو عمر بن عبد الواحد الهاشمي البصري، كان أبو الحسين بن غسان يخرج له، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج النيسابوري، كان أبو حازم العبدوي يخرج له، وصاعد بن محمد الاستوائي فقيه أصحاب الرأي بنيسابور، كان أحمد بن علي الأصبهاني يخرج له.

وكان أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزقوية يخرج الإملاء بنفسه، إلى أن كف بصره، ثم كان أبو محمد الخلال يخرج له أحياناً، وأحياناً كنت أنا أخرج له»(١).

والشيخ الأخير الذي ذكره الخطيب يوضح لنا الأصل الذي أشرت له سابقاً، وأن قيام المملي بالاستعانة بغيره من الحفاظ لا يكون إلا لوضع طارئ، وقد قال السخاوي (ت٩٠٢): «... الذين ليسوا من أهل المعرفة بالحديث، وعلله، واختلاف وجوهه، وطرقه، وغير ذلك من أنواع علومه، أو من أهل المعرفة، ولكنهم عجزوا عن التخريج، والتفتيش إما لكبر سن، وضعف بدن كما اتفق للناظم(٢) في إملائه بآخره لذلك»(٣).

(١) "الجامع لأخلاق الراوي": (٢/ ١١٧-١١٨).
(٢) صاحب النظم هو الحافظ المحدث أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦)
(٣) "فتح المغيث": (٣/ ٢٧١-٢٧٢).

الثانية: آليات إلقاء المادة التعليمية.

كانت هناك طريقتان مستعملتان في إملاء الحديث على الطلاب، وهما:

الأولى: الإملاء من الذاكرة:

وذلك جرياً على عادة العرب في اعتمادهم على الذاكرة، وهم الذين عرفوا بملكة الحفظ، وقوة الذاكرة، وكان ذلك غالباً في النشأة الأولى نظراً لرأي بعض العلماء في الكتابة، وقرب الأصل الذي تستند الرواية إليه، بالإضافة إلى قصر السند. على أن طول الأمد لم يذهب بهذه الطريقة فقد جاء عن عدد من المحدّثين من القرن الثاني، والثالث، والرابع الهجري أنهم كانوا يملون الأحاديث في مجالس الإملاء اعتماداً على ملكة الحفظ التي كانوا يتمتعون بها، ولكون الناس ينظرون لمثل ذلك – وخاصة في القرون المتأخرة – بتقدير وإعجاب، ومن أولئك الذين كانون يعتمدون على الإملاء من الذاكرة من يلي:

١. معمر بن راشد الأزديّ (ت١٥٤) قال: «أجمعت أنا وشعبة، وسفيان، وابن جريح، فقدم علينا شيخ – يعني طلحة بن عمرو –، فأملى علينا أربعة آلاف حديث عن ظهر قلب، فما أخطأ إلا في موضعين، ولم يكن الخطأ منا ولا منه»(١).

٢. عبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨) (٢) الذي ذكر عنه تلميذه محمد بن يحيى الذهلي (٢٨٦)، «أنه ما رأى في يده كتاباً قط، وأن كل ما سمعه منه كان حفظاً»(٣).! بل قال القواريري عبيد الله بن عمر (ت٢٣٥) (٤): «أملي عليّ ابن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً»!!(٥).

(١) "الكامل" لابن عدي: (٤/ ١٠٧) وقال الذهبي في "تذكرة الحفاظ" (١/ ٢٣٥): "إسنادها صحيح".

(٢) ابن حسان العنبري، أبو سعيد إمام حافظ. قال عنه علي بن المديني: "والله لو أخذت فحلفت بين الركن والمقام؛ لحلفت أني لم أر أحدً قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي" له ترجمة حافلة في "تهديب الكمال" (١٧/ ٤٣٠).

(٣) "تاريخ بغداد": (١٠/ ٢٤٧).

(٤) أبو سعيد البصري، ثقة ثبت روى له البخاري ومسلم. "التقريب".

(٥) "تذكرة الحفاظ": (١/ ٣٣).

٣. إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ، المعروف بـ «ابن راهويه» (ت٢٥٦) (١) فقد أملى أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها عليهم، فما زاد حرفاً، ولا نقص حرفا(٢) كما أملى مسنده كله من حفظه، وقرأه أيضاً من حفظ ثانياً كله(٣).

على أن من المفيد هنا الإشارة إلى أن بعض الحفاظ الذين كانوا يحدثون من حفظهم كانوا يطالعون كتبهم قبل إملائهم، ومنهم: سفيان فكان يطالع كتابه، ويستذكره، ثم يجيء على تلاميذه فيحدثهم(٤)، ومثله أبو عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكريّ (ت١٦٧) (٥)، وغيرهما كثير من الحفاظ الثقات، وذلك منهم تحفظاً، وتحرساً من الوقوع في الخطأ، لأن الذاكرة قد تخون المرء. وقد قل الاعتماد على الحفظ وحده في القرون المتأخرة.

الثانية: الإملاء من الكتاب.

ويبدو أن ذلك مما فرضته دواعي الاحتياط للسنة، وشدة التحري في حفظها ونقلها، حتى أن بعض طلاب الحديث كانوا يأنفون أن يكتبوا الحديث في الإملاء إلا من كتاب، نحو ما جاء عن عبد الرزاق بن همام الصنعانيّ (ت٢١١) أنه قال ليحيى بن معين: (ت٢٣٣)- رحمهما الله-: «أكتب عني ولو حديثاً واحداً من غير كتاب»! فقلت: «لا، ولا حرفاً»(٦). ولذا كان إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل: (ت٢٤١) لا يحدث الحديث إلا من كتاب، كما يقول عنه قرينه، ورفيق دربه علي بن المديني (٧) رحمهما الله.

---

(١) وقد قال عبد الله بن طاهر لإسحاق بن راهوية: قل لي: "إنك تحفظ مئة ألف حديث"؟ قال: "مئة ألف حديث ما أدري ما هو، ولكني ما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته". وقال أبو حاتم: "والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط، مع ما رزق من الحفظ". له ترجمة في "تاريخ بغداد": (٦/ ٣٥٤)، و "تهذيب الكمال": (٢/ ٣٨٤).

(٢) "تهذيب التهذيب": (١/ ٢١٨).

(٣) "تاريخ بغداد": (٦/ ٣٥٤).

(٤) "الكفاية": (ص ١٦٤).

(٥) "الطبقات" لابن سعد (٧/ ٢).

(٦) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٦٦٥).

(٧) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٦٦٦). وفي لفظ آخر لعلي بن المديني: "لا

ويبدو أن بعض من ألزم نفسه التحديث من كتاب يجعله فيما شك في حفظه، ولم يتيقن ضبطه، لبعده عنه، فأمسك لذلك عنه، أما ما لم يداخله فيه شك، لشدة حفظه له فقد حدث به، كما كان سفيان يملي من حفظه، فإذا سئل عن شيء داخل فيه الشك طلب تأخيره حتى يطالع كتبه(١).

وقبله أبو عوانة وضاح اليشكري (ت١٦٧)، فنقل عفان بن مسلم: (٢١٦) قال: «كان أبو عوانة يتحفظ ويملي علينا، ويخرج الحديث الطويل فيقرأه أو يمليه»(٢).

هذا وقد جرت عادة بعض المملين بتخريج الأحاديث التي يرغب في إملائها على التلاميذ، وتحريرها في كراسة، ثم يمليها حفظاً، وإذا نجز من الإملاء قابل ما أملاه من كراسته مع ما كتبه التلاميذ(٣).

الثالثة: محتوى المادة التعليمية.

تُعد المادة العلمية في مجالس الإملاء مادة مصطفاة، ومنتقاة من المملي، وهو ما يظهر بجلاء في مجالسها التي نجدها- مخطوطة أو مطبوعة- ملئيه بمادة علمية غزيرة متنوعة في كل فنون الحديث، سواء أكان في علوم الإسناد، أو المتن، ولكنها لم تنسق، أو تبوب كغيرها، فالحق أنهم اعتمدوا في جمعهم لمادة المجالس على الاختبار والتفتيش، والتحضير المسبق، وقد سبق شيء من الأمثلة على ذلك.

و المادة العلمية تقوم في مجالس الإملاء على ركنين أساسين؛ الإسناد والمتن، وما يحف بهما من معاني الأسانيد، وأصول المتون، وطرقها، ومن الملاحظ أن

يكاد يحدث إلا من كتاب" وفي "حلية الأولياء" (٩/ ١٦٥): "وعن إبراهيم بن جابر أن الإمام أحمد كان لا يحدث إلا من كتاب إذ كان من يسمع يكتب"، وجاء عن ابنه عبد الله بن أحمد قوله: "ما رأيت أبي في حفظه حدث من غير كتاب إلا بأقل من مئة حديث". "تاريخ بغداد" (١٠٩٨).

(١) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٦٦٧).

(٢) "الطبقات لابن سعد": (٧/ ٢٠).

(٣) ذكر ذلك عن نفسه السيوطي في كتابه: "تدريب الراوي" (٢/ ١٣٩) وقد سبقه إلى هذا جماعة كثيرة من علماء السلف المتقدمين.

مجالس الإملاء وما تضمنه من مادة حديثية كانت تحقق ركيزة متعارف عليها في أدبيات المملين حين اختيار المادة العلمية من انتقاء المادة التي تحقق لطالب الحديث التدرج الكيفي، بحيث يبدؤون بكل ما يحقق النضج له من البداية بالواضحات من الأحاديث، نحو: الأحاديث التي توثق عرى العقيدة في قلوب الطلاب، وتكشف لهم زئغ الفرق الضالة. والأحاديث الفقهية التي تفيد معرفة الأحكام الشرعية من العبادات، وما تعلق بحقوق المعاملات، وأحاديث الترغيب في فضائل الأعمال، وما يحث على الخير والذكر، ويزهد في الدنيا.

والتربية على تعظيم المحدّث الأول صلى الله عليه وسلم بالصلاة والسلام عليه كل ما ذكر سواء في منتهي الإسناد أو مثاني المتن، والعناية بالتراضي والثناء على الصحابة –رضي الله عنهم– تشريفاً لهم وتعظيماً[1]، كما والحرص على مراعاة التشويق والإثارة وعدم إملال الطلاب بان يختمون المجلس بالحكايات، والنوادر، والأناشيد، والأشعار الهادفة.

وفوق ذلك يتجنبون ما لا تحتمله عقول بعض الطلاب، مراعاة لحال المستمع، ومقدراته الذهنية والمعرفية، خوفاً من دخول الشبهة عليهم، و دفع الالتباس الذي قد يطرأ، فيحدث كل قوم بما يرى أنهم يحتاجون إليه من العلم، والمعرفة، وهذا كله على الغالب، ووفق ما يقدِّر الشيخ من مصلحة تقتضيها طبيعة الزمان، والمكان، والعالم، والمتعلم.

ويمكن أن تستخلص من استعراض مجالس الإملاء المطبوعة أو المخطوطة على حد سواء بعض الخصائص العامة التي كانت المجالس تتسم بها المادة العلمية في مجالس الإملاء، وهي:

(١) "الرسالة" (١٦)، و "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (/ ١٤١)، و "الفقيه والمتفقه": (٢/ ١٤١)، و "الفقيه والمتفقه": (٢/ ١٢٣).

١. الاستطراد.

وهذا شأن وطبيعة كتب الأمالي بعامة الحديثية منها أو اللغوية، فقد اعتاد المحدّثون فيها أن ينتقلوا من حديث إلى آخر انتقالاً عفوياً لا يفرضه موضوع محدد مع حرصهم أن تكون المادة المملاة على الطلاب مادة قيمة نافعة، ولكنها لا تتبع منهجاً معيناً، وهذا كله في خصائص الشكل عندهم، أما المضمون، فالحق أن المتتبع يجد من خلال مقارنة تواريخ المجالس ومكانها، ومراجعة الأحداث التاريخية ذات العلاقة بالمكان وما يعتريه من تقلبات اجتماعية أو سياسية، يجد أن تلك المجالس وظفت أحاديثها بشكل يحقق رسالة لمجالس الإملاء ، كما نجد أن المجالس راعت في مضامينها المناسبات الشرعية كدخول شهر رمضان والعشر الآوخر وشهر ذي الحجة وغيرها من المناسبات، هذا غير أن هناك عدد من مجالس الإملاء خصصت في الأصل لمواضيع محددة.

٢. التوثيق للخبر.

وذلك بالتقيد التام بجعل الإسناد الصلة إلى جمع المادة العلمية الملقاة في الدرس، بدافع الحرص على التوثيق العلمي، وتقديراً لجهود السابقين، وتمشياً مع طبيعة هذا العلم القائم على الإسناد. و لذلك كان الحرص على رواية الأحاديث المشهورة الجيدة الأسانيد التي لا يدخل عليها التعليل في أسانيدها، ولا متونها، هدفاً منشوداً في الاختيارات لأحاديث مجالس الإملاء، ويعدلون –في سبيل تحقيق هذه الرؤية– عن الغرائب، والمناكير، والأحاديث الباطلة. فإن الثقة في الحديث تكمن في الطريق إليه، وفي ذلك كانوا يرددون: «لا نظروا إلى الحديث، ولكن انظروا إلى الإسناد»(١)؛ وذلك منهم حرصاً على الدقة العلمية، والتثبت من الأقوال، والأمانة في النقل؛ ولذا إن ذكروا حديثاً معلولاً بينوا علته،كما قال عمرو بن قيس: «ينبغي لصاحب الحديث أن يكون مثل الذي ينتقد الدراهم، فإن الدراهم فيها الزيف، والبهرج، وكذلك الحديث»(٢).

(١) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ١٤٠).
(٢) "حلية الأولياء": (٥/ ١٠٣).

وفي تتابع منهجي لتحقيق ذلك المبدأ نجد المحدّثين يحرصون في مجالس الإملاء على أن يقدموا في الرواية ثقات شيوخهم ممن عرف بالمعرفة الدقيقة، وظهرت عدالته وأخلاقه الرفيعة، وأن لا يحدثوا عن من هو دون هذين من : الكذابين، أو المتظاهرين ببدعة، أو المعروفين بفسق(١)، ويردفون بالإيضاحات على الحديث الذي يذكرون، ويصفونه بالصفة التي له من صحة، وثبوت، أو غير ذلك، من المعاني التي لا يعرفها إلا الحفاظ والحاذقين في الصناعة الحديثية.

وكان عبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨) يقول: «لا يكون إماماً أبداً رجل يحدّث عن كل أحد، ولا يكون إماماً أبداً رجل لا يعرف مخارج الحديث»(٢)، بل كان شعبة يقول: «ألا تحدث عن فلان؟- وكان يتهم في الحديث- فقال شعبة: «لأن أفعل كذا أحب إليّ من أن أحدث عن فلان»(٣).

وكان من درر القواعد في هذا الباب ما قاله أبو موسى محمد بن المثنى(٤) حينما لامه ابن مهدي بقوله: «إنك تحدث عن كل أحد»! فقال أبو موسى: «عمن أحدث»؟ قال: «فذكرت فيه محمد بن راشد المحكولي»، فقال لي: «أحفظ عني: الناس ثلاثة: رجل حافظ متقن فهذا لا يختلف فيه، وآخر يهم والغالب على حديثه الصحة لهذا لا يترك حديثه، لو ترك حديث مثل هذا لذهب حديث الناس، وآخر يهم والغالب على حديثه الوهم فهذا يترك حديثه»(٥).

كما يحرصون على تنويع مصادر الرواية وهو ما يسهم بشكل ملحوظ في التقليل لنسبة الخطأ، ويختارون من الأحاديث ما علا سنده، وقصر متنه، كما يقول السخاويّ

(١) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ١١٨).
(٢) المصدر السابق: (٢/ ١٢٠).
(٣) المصدر السابق: (٢/ ١٢١).
(٤) محمد بن المثنى بن عبيد العنزي – بفتح النون والزاي، أبو موسى البصري، المعروف بالزمن، مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت، وكان هو وبندار فرسي رهان، وماتا في زمن واحدة، روى له الجماعة «التقريب».
(٥) "الكفاية" (ص ١٤٣).

مبرز القواعد التي يلتزمها المملي في عرض المادة العلمية:» أن لا يقتصر في إملائه على الرواية عن شيخ واحد من شيوخه، بل يروي عن جماعتهم، ويقدم من علا إسناده منهم»(١).

٣. مراعاة الاحتياجات.

كما نلاحظ – فيما أطلعت عليه من كتب الأمالي – أن جمعهم للمادة العلمية لم يخل من توظيفها لمراعاة الاحتياجات الملحة لعامة الناس، التي تفرضها ضروريات الأحداث المختلفة في المرحلة الزمانية من تقلبات سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو لمراعاة خصوصية بعض المناسبة كـ قدوم شهر رمضان، أو الحج أو غير ذلك، والأمثلة التطبيقية لهذه الخاصية قلما يخلو منه مجلس من مجالس الإملاء

المطلب الرابع

المراحل التي مرت بها مجالس الإملاء

الإشارة إلى أن فكرة تقسيم مجرى تطور علم معين أو أسلوب تربوي وتعليمي بسنوات معينة محددة هي فكرة غير دقيقة، لأنه لا يمكن القول إطلاقاً أنه عند سنة معينة، وفي يوم واحد بدأت مرحلة جديدة، ذات خصائص وسمات متغيرة لكن ذلك يكون مني، ومن كل مستخدم لمثل هذا التقسيم على سبيل التقريب، ووفق السبر والاستقراء، وإلا فإن عملات التطور تمر دائما بتغير مرحلي، وتتابعي متداخل. وأعرض فيما يلي لكل مرحلة بشيء من البيان:

المرحلة الأولى: النشأة والمنافسة:

وتمتد إلى نهاية منتصف القرن الهجري الثاني، وهي مرحلة جمع الحديث، وتدوينه، وبداية انتشار الكتب في أيدي طلبة الحديث، والتنافس مع الأساليب

(١) قال السخاوي (٩٨١١): "والمعنى: أن الذين له شيخ واحد ربما احتاج من الحديث لما لا يجده عند شيخه، فيصير حائراً..." "فتح المغيث" (٢/ ٣٠٤).

الأخرى التي كان من أشهرها:

١. التحديث الشفهي.

٢. القراءة من كتاب بأنواعها، وهي:

قراءة الشيخ من كتابه. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره علي بن عياش (ت٢٤٧) (١) قال: «كان شعيب بن أبي حمزة: (١٦٢)(٢) من خيار الناس،... وكان ضنيناً بالحديث، وكان يعدنا بالمجلس، فنقيم نقتضيه إياه، فإذا فعل، فإنما كتابه بيده، ما نأخذه»(٣).

أو قراءة الشيخ من كتاب غير هذا.

أو القراءة على الشيخ من قبل الطلاب أنفسهم.

طريقة السؤال والجواب(٤).

المذاكرة وغيرها.

ويمكن لي فيما يلي أن أستعرض بعض ما عثرت عليه من الشواهد والأمثلة في مثاني كتب التراجم والرجال، مبتدئاً بالصحابة، ثم كبار التابعين من القرن الأول، ثم بقية التابعين.

(١) الألهاني، الحمصي، ثقة ثبت أخرج له البخاري والأربعة. "التقريب".
(٢) الأموي، واسم أبيه دينار، أبو بشر الحمصي، ثقة عابد، روى له الجماعة. "التقريب" وانظر "تهذيب الكمال": (١٢/ ٥١٦). وكان ممن كتب عن الزهري إملاء للسلطان. وكان من أثبت الناس في الزهري.
(٣) "تاريخ أبي زرعة": (٤٣٣).
(٤) "دراسات في الحديث النبوي" (٢/ ٣٣٧).

أولاً: الصحابة ومنهم:

١. شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، أبو يعلي، أحد فضلاء الصحابة، وعلمائهم توفي سنة (٥٨)(١)، فقد أُثر عنه أنه أملى على نفر قدموا إليه بعد أن نادى على شباب حوله(٢).

٢. عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي، السهمي، أحد من كتب الكثير عن النبي صلى الله عليه وسلم توفي سنة (٦٣) (٣)، فجاء عنه أنه أملى لأنيسه بأحاديث، وكان أبو سبرة يكتبها عنه في صحيفة(٤).

٣. البراء بن عازب، أبو عمارة الأنصاري، أحد أعيان الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين–، توفي سنة (٧٢) (٥). فجاء عنه أنه كان يملي لتلاميذه، وبعضهم يكتبون على أكفهم بالقصب عنده(٦).

٤. واثلة بن الأسقع، وكان آخر من مات من الصحابة بدمشق(٧). قال معروف الخياط: «رأيتُ واثلة بن الأسقع يملي عليهم الأحاديث»(٨).

٥. أنس بن مالك، المتوفى سنة (٩٣)، فجاء عنه أنه كان يملي والناس يكتبون حوله. قال ابن سنان: «خرجت في وفد من أهل الأنبار إلى الحجاج إلى «واسط» نتظلم إليه من عامله علينا ابن الرفيل، فدخلت ديوانه فرأيت شيخاً الناس حوله يكتبون عنه. فسألت عنه، فقيل لي: أنس بن مالك(٩).

(١) "الاستيعاب": (٢/ ٦٩٤)"، "أسد الغابة": (٢/ ٥٠٧)، و "الإصابة": (٥/ ٥٢).
(٢) "سير أعلام النبلاء": (٢/ ٤٦٥).
(٣) "الاستيعاب": (٩٥٦) و "أسد الغابة": (٣/ ٣٤٩) (٣٥) و "الإصابة": (٢/ ٣٥١).
(٤) "المسند" للإمام أحمد بن حنبل: (٢/ ١٦٢).
(٥) الاستيعاب" (١٥٥)، و "أسد الغابة": (١/ ١٧١)، و "الإصابة" (١/ ١٤٢).
(٦) "تقييد العلم" (١٠٥).
(٧) الاستيعاب": (٣/ ٦٣٤)، و"أسد الغابة"، (٥/ ٤٢٨)، و "الإصابة" (٣/ ٦٢٦).
(٨) "أدب الإملاء والاستملاء": (١/ ٤٢٨)، "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ٥٥).
(٩) "تاريخ بغداد": (٨/ ٢٥٩).

ثانياً: كبار التابعين:

وظلت هذه الطريقة من طرق نشر العلم بعامة، والسنة النبوية بخاصة سائرة عند كبار التابعين الذين عاصروا الصحابة الكرام، وكان منهم على سبيل المثال:

١. شهر بن حوشب الأشعري (ت١٠٠) فجاء أنه أملى على عبد الحميد ابن بهرام المتدئني في سواد الكوفة(١).

٢. وطاووس بن كيسان اليماني المتوفى سنة (ت١٠٠) (٢). فجاء أنه ممن كان يملي على تلاميذه الأحاديث النبوية، وهم جمع، كما كان بعض تلاميذه يكتبون على ألواح كبار عنده، وهو يملي عليهم، ومنهم: ليث بن أبي سليم(٣).

وكان بعض كبار التابعين يزيد على ذلك بالحث الشديد على أهمية المعارضة بعد كتابة الإملاء، ومنهم عالم المدينة عروة بن الزبير المتوفى سنة (٩٣)، فقد روى هشام بن عروة، عن أبيه أنه كان يقول: «كتبت»؟ فأقول: «نعم». قال: «عرضت كتابك»؟ قال: «لا». قال: «لم تكتب!!»(٤).

المرحلة الثانية: السبق والازدهار:

في مثاني المنتصف الثاني للقرن الهجري الثاني، وتباشير القرن الثالث أضحى أسلوب الإملاء أكثر طرق التحديث انتشاراً وشيوعاً بين المحدّثين، بعد أن تمكن من تجاوز مرحلة المزاحمة، والمنافسة له من قبل الطرق الأخرى، إلى مرحلة التفرد بالأفضلية عند الطلاب، وظل هذا السبق قروناً طويلة عقب ذلك، ومن أبرز خصائص هذه المرحلة ما يلي:

(١) "تاريخ بغداد" (١١/ ٥٩).
(٢) أدرك خمسين من الصحابة "تهذيب الكمال": (١٣/ ٣٥٧).
(٣) "العلل": (١/ ٦٣).
(٤) "الكفاية": (ص٢٣٧).

أولاً: التزايد المضطرد لأعداد الطلاب، واكتظاظ مجالس الإملاء بهم.

واكتفى من الشواهد على ذلك بما جاء أن المحدّث علي بن عاصم بن صهيب الواسطي (ولد سنة ١٠٥، وتوفي سنة ٢٠١) وهو ممن عاش القرن الهجري الثاني، وكان يحضر مجلس إملائه أكثر من ثلاثين ألف طالب، وعالم، وكان يجلس لكثرة التلاميذ على سطح (١). وهو عدد كبير يعكس المكانة الرفيعة التي آل إليها هذا الأسلوب.

ثانياً: شيوع مبدأ الامتناع من كتابة الحديث من المملي إلا بأسلوب الإملاء.

فقد شاع هذا الأسلوب وأصبح له المكانة العليا لدى المحدّثين منذ وقت مبكر حتى أدى إلى أحجام طائفة المحدّثين من أخذ الرواية عن أساتذتهم إلا عبر هذا الأسلوب، ومثله ما قال ابن عيينة عن: زياد بن سعد الخراساني (ت١٥٠) رحمهما الله – قال: «كان لا يأخذ الحديث إلا إملاء»(٢).

وما روي عن عفان بن مسلم: (٢٢٠) قال: «اختلفت أنا وفلان إلى حماد بن سلمة: (ت١٦٧) سنة، لا نكتب شيئاً، وسألناه الإملاء، فلما أعييناه دعا بنا في منزله، فقال: «ويحكم تشلون(٣) عليّ الناس» قلنا: «لا نكتب إلا الإملاء» فأملى بعد ذلك»(٤).

ونحوه- أيضاً- ما جاء أن المحدّث الثقة ابن جريح عبد الملك بن عبد العزيز (ت١٥٠) لما قدم البصرة قام معاذ بن معاذ العنبري: (ت١٩٦) فشغب وقال: «لا نكتب إلا إملاء»! فكتب الناس بالإملاء(٥).

(١) "تاريخ بغداد": (١١/ ٤٥٤). وقال عنه الذهبي: "كتب منه ما لا يوصف كثرة". "ميزان الاعتدال": (٥/ ١٦٥).
(٢) "الكنى" للدولابي (٢٢٥).
(٣) أي تغرون بي، :لسان العرب": (١٩/ ١٧٤).
(٤) "تاريخ بغداد": (١٢/ ٢٧٢)، وأدب الإملاء والاستملاء": (١/ ١٣٨).
(٥) "العلل" (١/ ٣٧٠).

ثالثاً: الاهتمام الشديد من القيادات السياسية العلياء آنذاك (الخلفاء) بأسلوب الإملاء.

فتوثق المصادر ذات الصلة بأسلوب الإملاء إلى رغبة خلفاء تلك المرحلة في عقدهم مجلس للإملاء، ومن ذلك ما يرويه محمد بن سلام الجمحي: (ت٢٣١) (١)، أنه قيل للمنصور(٢): «هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تنله؟! قال: «بقيت خصلة!! أن أقعد في مصطبة (٣)، وحولي أصحاب الحديث، فيقول المستملي: من ذكرت رحمك الله»!!. قال: «فغدا عليه الندماء، وأبناء الوزراء بالمحابر، والدفاتر». فقال: «لستم بهم، إنما هم الدنسة ثيابهم، المتشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، برد الآفاق، ونقلة الحديث»(٤).

ونقل نحوه عن الخليفة العباسي عبد الله بن هارون الرشيد (ت٢١٨) فقال النضر بن شميل:)ت٢٠٤) سمعت أمير المؤمنين المأمون يقول: «ما اشتهي من لذات الدنيا إلى أن يجتمع أصحاب الحديث عندي، ويجيء المستملي فيقول: من ذكرت أصلحك الله؟»(٥).

وظلت هذه الأمنية تراود الخليفة المأمون في مواطن متعددة، إذ جاء عن أبي عاصم النبيل الضحاك بن مخلد: (ت٢١٢) قال: «دخل المأمون مصر، فقام إليه فرج النوبي، أبو حرملة، فقال: «يا أمير المؤمنين! الحمد لله الذي كفاك أمر عدوك، وأدان لك العراقين، والحرمين، والشامات، والجزيرة، والثغور، والعواصم، وأنت العالم بالله، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: «ويلك يا فرج! أوقال: «ويحك، قد بقيت لي خلة»، قال: «وما هي يا أمير المؤمنين»؟ قال: «جلوس في عسكر، ومستمل

(١) أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، له ترجمة في: "تاريخ بغداد" (١٥/ ٣٢٧)، و "سير أعلام النبلاء": (١٠/ ٦٥١).
(٢) الخليفة العباي أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي العباسي الهاشمي المنصور (ت١٥٨).
(٣) شبه دكان مربع، قدر ذراع من الأرض يجلس عليه. "لسان العرب" مادة" "صطب".
(٤) "أدب الإملاء والاستملاء"، (١/ ١٦٢-١٦٣).
(٥) المصدر السابق: (١/ ١٦٢-١٦٣).

يجيء، يقول: من ذكرت – رضي الله عنك-؟ فأقول: حدثنا الحمادان: حماد بن سلمة بن دينار، وحماد بن زيد بن درهم قالا: حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال:.....» (١).

ويبدو أنه عزم عقب ذلك على تحقيق تلك الأمنية الملحة، فيقول يحيى بن أكثم التميمي – القاضي المشهور – (ت٢٤٣): «قال لي المأمون يوماً: «يا يحيى إني أريد أن أحدث!»، فقلت: «ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين» فقال: «ضعوا لي منبراً بالحلبة»، فصعد، وحدث فأول حديث حدثناه، عن هشيم، عن أبي الجهم، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة... وذكر الحديث ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثاً، ثم نزل، فقال لي: «يا يحيى! كيف رأيت مجلسنا»؟ قلت: «أجل مجلس يا أمير المؤمنين، تفقه الخاصة والعامة»، فقال: «يا يحيى، ما رأيت لكم حلاوه، إنما المجلس لأصحاب الخلقان، والمحابر، يعني أصحاب الحديث»(٢).

كما يذكر أنه لما قدم الخليفة العباسي هارون الرشيد – أمير المؤمنين – الرقة، فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك(٣)، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: «ما هذا»؟ قالوا: «عالم من أهل خرسان يقال له: عبد الله بن المبارك» فقالت: «هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع إلا بشرط وأعوان»(٤).

وظلت همم الخلفاء متوافرة لعقدهم مجالس للإملاء بأنفسهم عقب ذلك لسنيين عديدة، امتدت بامتداد الفترة الذهبية لقوة المسلمين، ونشاط الحركة العلمية

(١) المصدر السابق: (١/ ١٦٥) وقال عقبة: "ويشبه أن يكون المأمون رواه عن رجل عن الحمادين، ذلك أن مولد المأمون كان في سنة سبعين ومائة، ومات حماد بن سلمة في سنة سبع وستين ومائة، قبل مولده بثلاث سنين".

(٢) "شرف أصحاب الحديث": (١٠١)، و "أدب الإملاء والاستملاء": (١/ ١٧١).

(٣) الإمام، شيخ الإسلامي علام زمانه توفي سنة: (١٨١) له ترجمة حافلة ماتعة في: "سير أعلام النبلاء": (٨/ ٣٧٨-٤٢١).

(٤) "تاريخ العرب" (١٠/ ١٥٦).

في زمانهم، وعلى الرغم من كثرة الأمثلة التي يمكن أن يشار إليها، إلا أنني أقف هنا عند مثال: جاء في منتصف القرن الثالث، أن الخليفة العباسي المتوكل(١) مر مع عسكره على مجلس يزيد بن هارون ببغداد، والناس قد أجتمعوا حوله في مجلس إملاء، فنظر المتوكل إلى المجلس وقال: «هذا الملك»(٢).

ولعل الخليفة هنا هوالمأمون(٣)، وليس المتوكل، فإن يزيد بن هارون – رحمه الله- توفي سنة (٢٨٦) وولد المتوكل سنة (٢٠٧)، وقد رد السمعاني(٤) الوهم في هذه الرواية على خيثمة بن سليمان القرشي(٥) أحد رواة الأثر.

وايا ما كان فإن ما لا شك فيه أن هذه العناية من قبل الخلفاء في تلك المرحلة -وهم أعلى القيادات السياسية في العالم آنذاك- بمجالس الإملاء تدعو إلى الإعجاب، وتبين مدى النضج الاجتماعي والقيادي للمسلمين في تلك القرون المتقدمة، كما أنها تكشف عن المكانة الرفيعة التي تبوأتها هذه الطريقة مع تباشير القرن الهجري الثالث. ومع تلك الحظوة الكبيرة لمجالس الإملاء أبان تلك المرحلة الزمانية إلا أنه لم يصلنا اليوم من أمالي القرن الثالث، سوى ثلاثة، وهي:

(١) الخليفة العباسي، أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن هارون المتوكل العباسي – رحمه الله رحمة واسعة – كان ممن أظهر السنة في زمانه حين تولى الخلافة، ونصر أهلها قبل أن يلقى ربه سنة: (٢٤٧) له ترجمة في: «سير أعلام النبلاء»: (١٢/ ٣٠).

(٢) "أدب الإملاء والاستملاء": (١/ ١٧١-١٧٢).

(٣) الخليفة العباسي، أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد العباسي، توفي سنة: (٢١٨) له ترجمة في "تاريخ بغداد": (١٠/ ١٨٣)، و "سير أعلام النبلاء": (١٠/ ٢٧٢).

(٤) أشار إلى الوهم – قبله – الخطيب البغدادي في كتابه: «شرف أصحاب الحديث» (١٠٠ برقم ٢٢٠) وذكر أن الخليفة هو المأمون، وذكرها الذهبي في: سير أعلام النبلاء»: (١٣/ ٢٤٠(ونسبها إلى المأمون كما أشار الخطيب والسمعاني.

(٥) له ترجمة في "سير أعلام النبلاء": (١٥/ ٤١٢)، وكان ثقة، توفي سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة.

الأمالي في آثار الصحابة، لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت٢٢٠)(١)، وأمالي القاضي، الحافظ، أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد المعروف بـ «العسال» توفي سنة (٢٨٢) (٢)، وأمالي الباغندي، محمد بن سليمان بن الحارث: (٢٨٣) (٣).

ويمكن للباحث عزو ذلك إلي أن من أهم أسباب قلة مجالس الإملاء التي بقيت من القرنين الهجريين الثاني والثالث، هو أن بعضها سبق، أو واكب الفترة الذهبية لحركة التأليف، وهي الفترة التي جمعت فيها أمهات كتب الحديث، من: الصحاح، والمسانيد، والمعاجم، فاندرجت تلك الأجزاء والمجالس ضمنها، وبهذا شكلت هذه الأجزاء هذه المجالس الأصول التي استقى منها مصنفوا الصحاح، والسنن، والمسانيد، والمعاجم من المحدّثين مادتهم العلمية، والتي تكونت لنا منها – أيضاً – أمهات كتب السنة والحديث – وليس أدل على ذلك من صيغ التحميل – نفسها – التي نقلت عبرها أحاديث تلك المصنفات – الأمر الذي قلل أهمية تلك المجالس كأجزاء مفردة، وأضعف دافعية الطلاب نحو تقفرها، والعناية بأصولها، كما أن المحدّثين والطلاب تنافسوا في مواكبة طبيعة المرحلة التأليفية، والتي وإن اختلفت في شروطها، إلا أنها انتهجت الطريقة نفسها، فإن كثير من الصحاح، والمسانيد، والمعاجم إنما تلقفها الطلاب بأسلوب الإملاء!!

تجدر الإشارة–هنا– إلى أنني قمتُ بمسح شامل لإحصاء ما وصلنا من مجالس الإملاء –أو أجزاء مفردة منها– مخطوطة كانت أو مطبوعة– فكانت كالتالي وفق ما ظهر، وذلك باعتبار أسم المملي لا مجموع مجالسه:

(١) طبعت، بتحقيق: مجدي السيد إبراهيم ويقع في (١٤٤ صفحة) نشرته مكتبة القرآن في العاصمة المصرية القاهرة سنة ١٤٠٩/ ١٩٨٩م.

(٢) "تاريخ بغداد": (١/ ٢٧٠) و "سير أعلام النبلاء" (١٦/ ٦)، و "الوافي بالوفيات": (٢/ ٤١).

(٣) طبعت بتحقيق: محمد بن زياد تكلة، ضمن مجموع بعنوان: جمهرة الأجزاء الحديثية ويحتوي على: (١٩) جزءاً حديثياً، نشرته مكتبة العبيكان بالعاصمة السعودية الرياض عام ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

١. القرن الرابع الهجري ثلاثون.

٢. القرن الخامس الهجري أربع وثلاثون.

ويشار إلى أن أمالي القرنين الرابع والخامس وإن اتبعت نهج ما سبقها من أمالي شكلاً ومضموناً، إلا أنني وجدت في ثنايا مطالعتي لها – سواء أكانت مخطوطة، أو مطبوعة- أنها تميزت عليها بالعناية بالكلام على الأسانيد، وبيان العلل، والتصريح في بعضها بصحة الحديث من عدمه، والكلام على بعض الرجال، وغيرها من فنون الإسناد، والمتن، كما أن من المفيد الإشارة إلى أن هذا التقليد العلمي لم يقتصر على قطر دون الآخر، بل انتقل إلى سائر الآفاق، ومنها الأندلس(١)، فجاء في «مطمع الأنفس» أن الفقيه أبا مروان عبد الملك الطيني رحل إلى المشرق، ولّما رجع إلى «قرطبة» وجلس ليرى ما أحتقبه من العلوم، اجتمع إليه في الأندلس خلق عظيم، فلما رأى تلك الكثرة، وما له عندهم من الأثرة، قال:

إني إذا حضرتني ألف محبرة

يكتبن حدثني طوراً وأخبرني

نادت بعقوبة الأقلام معلنة

هذي المفاخر لا قعبان من لبن(٢).

ونحوه أبو القاسم سلمة بن سعيد الأنصاري(٣)- وكان حافظاً للحديث يملي من صدره – والقاضي أبو المطرف بن فطيس (٤). اللذان حظيت مجالس إملائهم بسمعة رفيعة في الديار الأندلسية.

(١) قال ابن بسام البشنتريني في "الذخيرة في محاسن الجزيرة" (١/ ٢): "أهل هذه الآفاق – يعني الأندلس – أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو كن بأقصى الشام والعراق ذباب، لبحثوا على ذها ضمناً، وتلوا ذلك كتاباً محكما».

(٢) لابن خاقان (ص ٥٠)، و "الصلة في علماء الأندلس": (٢/ ٣٦١).

(٣) "الصلة" لابن بشكوال: (١/ ٢٢٤).

(٤) "الصلة": لابن بشكوال/ : (١/ ٣١٠).

المرحلة الثالثة:مرحلة الأفول والاضمحلال.

وقد وردت الإشارة في مثاني كتب المتقدمين لتلك البداية في التراجع للعناية بمجالس الإملاء في مواضع متعددة، منها ما نقله الإمام الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمد: (ت٦٥٢) عن أبيه العلامة الحافظ، أبي بكر محمد بن منصور بن عبد الجبار السمعانيّ (١) (ت٥١٠) – رحمهما الله – قوله – تعليقاً – على قول أبي صالح بن عبد الملك المؤذن(٢): (ت٤٧٠): «عد في مجلس السيد الحسن محمد بن الحسين العلوي(٣) – رضي الله عنه – ألف محبرة» قال –أي– السمعاني–: قال – رضي الله عنه – أي والده–: «فرحم الله السلف الماضين كان العلم مطلوباً في زمانهم، والرغبات متوافرة، والجموع متكاثرة، فالآن خمد ناره، وقل شراره، وكسد سوقه».

وضرب على ذلك مثلاً بما سمعه من مذكرة لأبي حفص عمر بن ظفر المغازلي قوله: «فرغنا من إملاء الشيخ أبي الفضل بن يوسف، فطلبنا محبرة نكتب منها أسامي من حضر، فما وجدنا»(٤).

كما ويمكن الإشارة إلى أنه بمسح أعداد مجالس الإملاء التي وصلت لنا والتي لم تتجاوز في عددها الاثنان وعشرون باعتبار نسبتها للملي، يمكن ملاحظة انخفاض العدد الذي وصلنا من القرن السادس الهجري مقارنة بالقرنين السابقين، مع أنها أوفر حضاً من حيث البعد الزمني للوصول إلينا، ويمكن عزو ذلك للأسباب التالية:

أولاً: وما سبق بيانه من أسباب قلة مجالس الإملاء التي وصلت لنا من القرنين الهجريين الثاني والثالث فهو – ذاته – ما يفسر كثرة مجالس الإملاء التي وصلت اليوم من القرنين الرابع، والخامس الهجريين مقارنة بما قبلهما.

(١) له ترجمة في : "سير أعلام النبلاء" (١٩/ ٣٧١).
(٢) له ترجمة في: "تاريخ بغداد": (٤/ ٢٦٧)، و "سير أعلام النبلاء": (١٨/ ٤١٩).
(٣) له ترجمة في : "الوافي بالوفيات" : (٢/ ٣٧٣)، و "سير أعلام النبلاء": (١٧/ ٩٨).
(٤) "أدب الإملاء والاستملاء": (١/ ١٦٠-١٦١).

ثانياً: هيمنة كيانات سياسية كبيرة تتبنى أيدلوجيات ومذاهب عقدية وفكرية متباينة في تلك الحقبة الزمانية نحو دولة بني بوية في بلاد فارس والعراق، والقرامطة في الجزيرة العربية، والفاطميون في شمال أفريقيا وأطراف من بلاد الشام، وكان لما مارسه كل كيان من سياسات منهجية، ومخطط لها، بهدف الحد من نشاط علماء الطرف الآخر وتغيير قناعات الرأي العام، ومعتقداته بما يحقق لكل منهم تعميق النفوذ في الأوساط الشعبية، وهي في مجملها لا تتفق في أطروحتها مع مذهب علماء الحديث، الأمر الذي القي بظلاله الواضحة على مسيرة علماء الحديث وجهودهم في مجالس الإملاء.

ثالثاً: هذا بالإضافة إلى دخول متغير جديد ومؤثر في أواخر القرن الخامس، وأوائل القرن السادس، وهي الحملات الصليبية التي اجتاحت الديار الإسلامية وما أورثه ذلك من انشغال الأمة، وعلى رأسهم العلماء، وطلاب العلم بالنهوض بواجب الدفاع عن حمى الدين، وشرف الأمة، وكرامتها(١).

على أن مجالس الإملاء لم تنقطع رغم كل تلك الظروف العاتية، بل اتصلت على نحو ما سبق، وإن قلت من جهة العدد عن تلك التي وصلتنا من القرون السابقة، رغم أن إمكانية حفظ أمالي هذا القرن، ووصولها إلينا كان أوفر حظاً من سابقيه!

(١) انظر ما أشار إليه الذهبي في "سير أعلام النبلاء": (١٥/ ١٦٤)، وفي رسالته: "ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل" الطبقة التاسعة والعاشرة.

المطلب الخامس

المستملي

وتحته عدد من المسائل التي توضحه، وتحدد أبعاده، وهي كالتالي:

المسألة الأولى: المراد بالمستملي:

لم تكن مجالس الإملاء في أول شأنها تتجاوز مجلس المملي، ومع التطور التدريجي لهذه الظاهرة التعليمية، وتكاثر الجموع حول المملي، وازدياد الرغبة الصادقة في السماع من المحدّثين، والكتابة عنهم، بدأت الحاجة الملحة بتجاوز هذه المعضلة، وإسماع الصوت للجموع الوافرة.

وكان المنادي، أو المستملي – الوسيلة المبتكرة لتوصيل صوت المحدّث لكافة الطلاب، وربما زاد عدد المستملين عن واحد عندما يكثر الزحام حتى يبلغ بعضهم بعضاً:

ويصف أبو بكر أحمد بن جعفر بن سلم قدوم شيخ عصره، الشيخ، الإمام، أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجي (ت٢٩٢) (١) إلى بغداد بقوله: «لما قدم علينا أبو مسلم الكجي أملى الحديث في «رحبة غسان»، وكان في مجلسه سبعة مستملين – أي في كل جهة- يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه، وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر، ثم مسحت الرحبة، وحسب من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفاً وأربعين ألف محبرة، سوى النظارة»(٢).

بل قد بلغ عدد المستملين أكثر من ذلك بكثير، فيذكر عمر بن محمد ابن علي

(١) الكجي: بفتح افكاف والجيم المشددة، نسبة إلى الكج وهو الجص، له ترجمة في "تاريخ بغداد": (٦/ ١٢٠)، و"سير أعلام النبلاء": (١٣/ ٤٢٣)، و"شذرات الذهب": (٢/ ٢١٠).

(٢) "تاريخ بغداد": (٦/ ١٢١-١٢٢)، وذكر القصة الذهبي في "سير أعلام النبلاء": (١٣/ ٤٢٤) وقال: إسنادها صحيح".

الزيات (١) أنّه لما ورد المحدّث الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر الفريابي: (ت٣٠١) (٢) إلى بغداد واستقبله الناس بـ «الطيارات»(٣) و «الزبازب»(٤)، ووُعِد له الناس إلى شارع «المنار» بـ «باب الكوفة»(٥) ليسمعو منه، فحزر من حضر مجلسه لسماع مجلسه لإملاء الحديث بثلاثين ألفاً، كان المستملون منهم فقط ثلاث مئة

وستة عشر مستملياً (٦).

المسألة الثانية: الشروط الواجب توفرها في المستملي.

بالاستقراء يمكن القول: إن مجمل الشروط التي كانت يلزم توفرها في المستملي يمكن حصرها فيما يلي:

الشرط الأول: أن يكون المستملي ممن قد اشتغل بعلم الحديث.

فلم يكن يرتقي هذه المرتبة إلا من عُرِف بالحديث، ومارس هذا الفن حتى

(١) الشيخ الحافظ الفقيه، أبو حفص، المعروف بـ ابن الزيات، توفي سنة خمس وسبعين وثلاث مئة، له ترجمة في: "تاريخ بغداد": (١١/ ٢٦)، و "سير أعلام النبلاء": (١٦/ ٣٢٣).

(٢) له ترجمة في "تاريخ بغداد": (٧/ ١١٩٧)، و "سير أعلام النبلاء": (١٦/ ٩٤) وما كتبه الأستاذ الفاضل الشيخ، مساعد بن سليمان في مقدمة تحقيقه لكتاب "أحكام العيدين" للفريابي.

(٣) والطيار: نوع من الزورق، يدل اسمه على أنه سريع الجريان، قال جحظة البرمكي يعاتب وزيراً.

قل للوزير أدام الله دوله
أذكر منادمتي والخبز خشكار
إذ ليس بالباب برذوان لدولتكم
ولا غلام ولا في الشط طيار

انظر "تجارب الأمم": (١/ ٢٦٨)، وما كتبه أحمد تيمور في مجلة المجتمع العلمي العربي (م/ ١١) وحاشية سير أعلام البلاء (١٤/ ٥٣) ومنها استفدنا.

(٤) ضرب من السفن.

(٥) أحد أبواب بغداد الأربعة الكبرى.

(٦) "تاريخ بغداد": (٧/ ٢٠١) و "أداب الإملاء والاستملاء": (٢/ ١٥٩).

يؤمن عليه من الغلط، والخطأ[1] إذ يقول الإمام الشافعي -رحمه الله-: «قرأت «الموطأ» على مالك، ولم يكن يقرأ على مالك إلا من قد فهم العلم، وجالس أهله، وكنت قد سمعت من ابن عيينة»[2].

وكان المستملي في العادة مشروع عالم كبير، أو هو معيد ذكي لدى أستاذ جامعي عبقري، ولذا رأينا في قائمة المستملين كبار طلاب الحديث، أو ممن غدا فيما بعد إماماً في الحديث، ولذا يقول أبو إسحاق الفزاري -رحمه الله-: «ما كانوا يقدمون للاستملاء إلا خيرهم، وأفضلهم»[3]. ومنهم على سبيل المثال:

١. عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، أبو نصر العدلي: (ت٢٠٤هـ) كان مستملي سعيد بن أبي عروبة بن مهران اليشكريّ (ت١٥٧) [4].

٢. سفيان بن سعيد الثوري: (ت١٦١) الذي كان يجثوا على ركبتيه يسأل حماد بن زيد: (ت١٩٧) ويستملي له[5].

٣. إسماعيل بن علية: (ت١٩٣) وكان يستملي للإمام مالك بن أنس: (ت١٧٩)[6].

٤. آدم بن أبي إياس: (ت٢٢١) وكان يستملي لشعبة بن الحجاج: (ت١٦٠)[7].

الشرط الثاني: أن يكون المستملي جهوري الصوت[8].

---

(١) "أدب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٤٠٦)، و "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٢٨٥).
(٢) المصدر السابق، (٢/ ٤٠٦).
(٣) المصدر السابق: (٢/ ٣٩٦).
(٤) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ٦٦).
(٥) المصدر السابق: (٢/ ٦٦).
(٦) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٢٨٤)
(٧) "أدب الإملاء والاستملاء": (٢٤/ ٣٩).
(٨) "الجامع لأخلاق الراوي آداب السامع" (٢/ ٦٦)، "أدب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٣٩٢).

وذلك لتوصيل صوت المحدّث لكافة الطلاب، وفي ذلك يذكر المحدّث داود بن رشيد (ت٣٠٤) أنّه كان عند ابن علية فقال المستملي له(١):» يا أبا بشر! الزحام كثير فارفع صوتك حتى يسمعوا». قال:» ومن أنت؟!» قال:» أنا المستملي!» قال: «الرئاسة لها مؤونة، أنا المحدّث، وأنت المستملي!» (٢).

وهذا مقيد بما إذا كثر العدد بحيث لا يرون وجهه(٣)، وبعدت الحلقة، ولا يسمع صوته إلا كذلك.

وكان من مشاهير المستملين هارون بن سفيان ابن بشير، المعروف بـ «الديك»(٤)، وهارون بن سفيان بن راشد، أبو سفيان المعروف بـ «مكحلة»(٥)، وكانوا يشبهون صوته بالرعد في شدته وقوته، ولربما اشتد الزحام بالناس فيصعد نخلة معوجة، ويستملي عليها للحافظ المحدّث عاصم بن علي بن عاصم المتوفى سنة: (٢٢١) (٦) الذي كان هو – أيضاً – يجلس على السطح في رحبة النخل بجامع «الرصافة»(٧).

ويذكر أبو بكر الختلي (ت٢٨٣) (٨): أن محمد بن مسلم بن وراه (ت٢٧٠)(٩) قدم عليهم من «الري»، فنزل في «شارع الزرادي» في دار الحمدون بن أحمد الصيرفي

(١) في "تاريخ بغداد": (٥/ ٢٨٨) تحت ترجمة: أحمد بن يزيد الرياحي أنه قال" استمليت يوماً لإسماعيل ابن علية، فضجرت من كثرة ما يرددون عليّ، فقال لي إسماعيل: يا أبا العوام إن للرياسة مؤنة"

(٢) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ٦٦)، و"أدب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٣٩٢).

(٣) "فتح المغيث": للسخاوي: (٣/ ٢٥٤).

(٤) مستملي يزيد بن هارون "تاريخ بغداد" (٧/ ٢٥).

(٥) "تاريخ بغداد": (٧/ ٢٤).

(٦) له ترجمة في "تاريخ بغداد": (١٢/ ٢٤٧)، و "سير أعلام النبلاء": (٩/ ٢٦٢).

(٧) "تاريخ بغداد": (١٢/ ٢٤٨).

(٨) الإمام، المحدث، إسحاق بن إبراهيم بن محمد الختلي، له ترجمة في "سير أعلام النبلاء": (١٣/ ٣٤٢)، و "الوافي بالوفيات": (٨/ ٣٨٦).

(٩) ابن عثمان بن عبد الله الرازي، ثقة حافظ، أخرج له النسائي، التقريب.

(ت٢٧١) (١) فاجتمع له زهاء عشرين ألفاً، فقام له نحو من عشرين مستملياً، فقال: خذوا حديثاً:» عبدان، وحبان، وشاذان، وعفان، وعارم أبو النعمان، ومال أبو غسان،...(٢).

الشرط الثالث: أن يكون المستملي فصيحاً واضح البيان:

وذلك بحسن العبارة، وجودة الأداء. فلا يقوم بهذه المهمة إلا أقدر الحاضرين وأحذقهم في ذلك.

الشرط الرابع: أن يكون المستملي متيقظاً ذكياً، ولا يكون بليداً مغفلاً.

وقد حذر المحدّثين من اتخاذ المستملي قليل الفطنة، الذي قد يقول غير ما يسمع، ويكتب غير ما يقول، ويقرأ غير ما يكتب، ويحفظ غير ما يقرأ(٣)، حتى لا يقع في خلاف ما أريد له. ومن الأمثلة الغريبة والطريفة إلى حد ما التي جاء أن محمد بن عمرو البصري استملى لخالد بن الحارث الهجيمي: (ت١٨٦) وكان يملي حديث حميد فقال: حدثنا حميد عن أنس قال: قال رسول، كذا في كتابي، وهو رسول الله – إن شاء الله –، وشك أبو عثمان في الله. قال: فقال له كذبت يا عدو الله!! ما شككت في الله قط(٤).

الشرط الخامس: أن يكون عددهم كافياً إذا كثر الزحام.

وقد نقلت لنا كتب التاريخ، والسير أن بعض المجالس بلغ عدد الحاضرين فيها أرقاماً تكاد تكون فلكية في مجالس لعلماء اليوم!! مع توافر الناس، وازدياد أعدادهم وتطور وسائل الاتصال. نذكر – منها – هنا الأمثلة التالية:

(١) حمدون بن أحمد النيسابوري القصاد، أبو صالح ، له ترجمة في "حلية الأولياء": (١٠/ ٢٣١)، و"سير أعلام النبلاء": (١٣/ ٥٠).
(٢) "ادب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٤١٠-٤١٢).
(٣) "تاريخ بغداد": (٧/ ٢١٠١)، و"أدب الإملاء والاستملاء": (٢/ ١٥٩).
(٤) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ٦٧)، و "أدب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٣٩٦). ونحوه ما ذكره إسحاق بن وهب قال: "كنا عند يزيد بن هارون، وكان له متصل يقال له بربخ فسأله رجل عن حديث فقال، يزيد، حدثناه عدة، قال: فصاح به المستملي يا أبا خالد عدة ابن من؟ قال عدة ابن فقدتك، "تصحيفات المحدثين" للعسكري: (١/ ٣٧).

أملى يزيد بن هارون (ت٢٠٦) في مجلس ببغداد، وكان يقال: إن في المجلس سبعين ألفاً(١).

أملى عاصم بن علي (ت٢٢١) في مسجد الرصافة، وكان يحرز من حضر مجلسه بأكثر من مئة ألف إنسان(٢).

أملى أبو مسلم الكجي (ت٢٩٢) وكان من حضر من أصحاب المحابر يحسبون بنيف وأربعين ألفا سوى من كان يحضر للنظر(٣).

المسألة الثالثة: القواعد والتنظيمات الإجرائية للمستملي.

كان للمستملي عدد من القواعد والتنظيمات الإجرائية التي يسحب له أن يراعيها، ومنها:

كانوا يستحبون للمستملي أن يشرف على الناس بأن يقعد على موضع مرتفع، مثل: دكة أو كرسي، فإن لم يجد استملى قائماً، لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين(٤).

أن يبتدئ المستملي عادة بعد أن يستنصت الناس – وقد يفعله المملي – بقراءة سورة من القرآن، ثم يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد النبي وآله أجمين، وصحبه الأكرمين».

ثم يدعو للمحدث، ويعرف باسمه، وكنيته، ونسبته هذا إن عرفه وإلا سأل الشيخ حتى يذكره ويكتبه الطلاب.(٥).

(١) "أدب الإملاء والاستملاء": (١/ ١٥٥)، وهو ما يبرر ما سبق من قول الخليفة العباسي حين مر مع عسكره على مجلس يزيد بن هارون، فقال: "هذا الملك".
(٢) "تاريخ بغداد": (٧/ ٢٤).
(٣) "تاريخ بغداد": "(٦/ ١٢١/ ١٢٢) وذكر القصة – أيضاً- العلامة الذهبي في: «سير أعلام النبلاء»: (١٣/ ٤٢٤) وقال: «إسنادها صحيح».
(٤) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ٦٦)، و "علوم الحديث": (٢٤٢) و "أدب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٣٩٠).
(٥) الجامعة لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢/ ٧١)، "أدب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٤٢٥).

ويقوم بعض المستملين عقب ذلك بالثناء على المحدّث، وحمده بين الحاضرين، وإن كره ذلك كثير من المحدّثين، وعدوه من تعظيم الذات عند ذكر الرب، ومن ذلك ما يحكيه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق قال: «كنت أقرأ بـ «بنيسابور» على الشيخ أبي القاسم علي بن الحسين العلوي (ت٥٤٣) (١) – رحمه الله – وكان شيخاً صالحاً من أهل بيت معروفين، فقلت: ورضي الله عن الشيخ الإمام فلان، فنهاني عنه وقال: قل: (ورضي الله عنك، وعن والديك، وحرم شيبتك على النار»، فقلتها، وهو يبكي رحمه الله»(٢).

كما كرهوا الدعاء للشيخ المملي بطول البقاء، ودوام العمر، لأنه كما قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله:- «شيء قد فرغ منه»(٣).

وحين فراغ المستملي من المقدمة – المذكورة آنفاً – يقبل على المملي قائلاً: «من حدّثك – رحمك الله – أو من ذكرت»، ويشرع آنذاك المملي في إملائه، ويبلغ عنه المستملي من غير مخالفة للفظة، فإن لم يسمع كلمة، أو حرفاً، أو شك فيه سأل عنه حتى يسمعه، ويختم المجلس بالدعاء للحاضرين، ولمن حضر بالرحمة والمغفرة(٤).

المسألة الرابعة: ما الفرق بين السماع من المملي والمستملي.

ذهب بعض المحدّثين إلى القول بعدم جواز أن يروي الطالب عن المحدّث إلا ما سمعه منه، أمّا ما سمعه من المستملي فلا(٥)! ومن هؤلاء خلف بن سالم، ومحمد بن عبد الله الموصلي، وأبو الصلت زائدة بن قدامة، والحق الذي عليه أكثر المحدّثين،

(١) له ترجمة في "المنظم": (١٠/ ١٣٥)، و "سير أعلام النبلاء": (٣/ ٢٠٧)، و "شذرات الذهب": (٤/ ١٣٥).
(٢) "أدب الإملاء والإستملاء": (٢/ ٤١٩).
(٣) المصدر السابق: (٢/ ٤٢٢).
(٤) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٢-٦٧-٧٢)، و "أدب الإملاء والاستملاء": (٢/ ٤٢٩-٤٣٥).
(٥) "الكفاية": (ص ١٢٥).

وجمهورهم، وكان العمل عليه والناس متوافرون بلا نكير هو الجواز، بل لربما غابت الكلمة عن الطالب فاستفهم من يليه، من دون موارية، ومن البراهين على ذلك ما يلي:

ما جاء أن الصحابي الجليل جابر بن سمرة، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «... يكون أثنا عشر أميراً...» فقال كلمة لم أسمعها، فسألت أبي فقال: «كلهم من قريش»، وقد أخرج الإمام مسلم بن الحجاج(١) هذا الحديث دونما فصل لكلمة جابر التي استفهمها من أبيه.

وقد بررو ذلك –أيضاً– بأن المستملي في حكم من يقرأ على الشيخ، ويعرض عليه من كتاب والناس يسمعون، ما الفرق!

وقال السخاوي في كتابه «فتح المغيث»(٢): وهذا هو الذي عليه العمل بين أكابر المحدّثين الذين كان يعظم الجمع في مجالسهم جداً، ويجتمع فيها للقيام من الناس بحيث يبلغ عددهم ألوفاً مؤلفة، ويصعد المستملون على الأماكن المرتفعة، ويبلغون عن المشايخ ما يملون، أن من سمع المستملي دون سماع لفظ المملي جاز له أن يرويه عن المملي، بشرط أن يسمع المملي لفظ المستملي».

المطلب السادس

مناقشة بعض المسلمات التاريخية لمجالس الإملاء

المسألة الأولى:ذكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١) (٣) من أن الإملاء أندرس بعده – أي بعد ابن الصلاح – إلى أواخر أيام الحافظ أبي الفضل زين الدين

(١) الحديث أخرجه البخاري، في كتاب الأحكام (٦/ ٢٦٤٠ برقم: ٦٧٩٦) باب الاستخلاف. مع الشرح لابن حجر باب: في هذا الحديث. ومسلم في كتاب الأمانة: (٣/ ١٤٥٢– برقم ١٨٢١) باب: الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.

(٢) (٢/ ٥٠).

(٣) "تدريب الراوي": (٢/ ١٣٩).

عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦)، فافتتحه سنة ست وتسعين وسبع مئة، فأملى أربعة مئة مجلس، وبضعة عشر مجلساً إلى سنة موته، سنة ست وثمان مئة(١).

وهو يشير بقوله ابن الصلاح إلى الحافظ، العلامة، أبي عمرو، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي، المعروف بـ «ابن الصلاح» (ولد سنة ٥٧٧- وتوفي سنة ٦٤٣) (٢). ولا زالت جزء يسير متبقي من أمالية مخطوطة في المكتبة الأزهرية بجمهورية مصر العربية تحت الرقم: (٣٧٤٩) المجلس الثالث، ويقع في سبع ورقات فقط.

كما يفهم من النص أن الإملاء انقطع بعد ابن الصلاح لأكثر من مئة وثلاث وخمسين سنة!! حتى جاء الحافظ، أبو الفضل زين الدّين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦) فافتتحه.

وقد أملى الحافظ العراقي أربعة مئة مجلس وستة عشر مجلساً، ومنها نثريات، ثم تخريج الأربعين للنووي، ثم أملى مستخرجاً على مستدرك الحاكم – شيئاً يسيراً منه-، ثم تعداه فأملى مما خرج له تلميذه الحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢)، وكان آخر ما أملى في شهر صفر سنة ست وثمان مئة كما ذكر السخاوي في « الضوء اللامع».(٣).

ويبقى أن هناك دعوى بوجود انقطاع الإملاء بعد ابن الصلاح فذلك مما ترفضها المصادر والمراجع ذات الصلة بتوثيق جهود المحدّثين في المرحلة الزمنية التي يذكر السيوطي أن الانقطاع وقع فيها، ويمكن مناقشة هذه الدعوى من خلال ما يلي:

(١) (٢/ ٣١٤). أمالي الحافظ العراقي المستخرج على المستدرك للحاكم، لعبد الرحيم ابن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، تحقيق: محمد عبد المنعم بن رشاد- وفقه الله- ويقع في (١٣٢ صفحة) نشرته مكتبة السنة بالعاصمة المصرية القاهرة، سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

(٢) الإمام، الحافظ العلامة، له ترجمة في: "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي: (٨/ ٧٥٧-٧٥٨)، و "سير أعلام النبلاء" للذهبي: (٢٣/ ١٤٠).

(٣) (٤/ ١٧٤).

أولا: أن هذا هو ما علمه السيوطي، ولا يلزم من علمه بعدم الوقوع عدم الوقوع فعلاً، وكان له مندوحة في قوله نحو مقالته على معلقاً على الأمالي اللغوية في كتابه: «المزهر في علوم اللغة وأنواعها» حين قال: «وآخر من علمته أملي على طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجي، وله أمالي كثيرة في مجلد ضخم، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، ولم أقف على أمالي لأحد بعد»(١)، ولو فعل لكان أدق، وأنصف لحقوق وأهلية المرحلة.

ثانياً: إن بعد الشقة آنذاك، وضعف الاتصال الذي اعترى الأراضي الإسلامية خلال هذه الفترة الزمنية نتيجة التفكك السياسي، وما اعترى الأمن من انحلال، وضعف، يجعل من العسير على أهل ذاك الزمان الحكم بمثل ما قال!.

ثالثاً: أنه وجد من أملى في الفترة الزمانية المشار إليها، ونذكر-هنا- ما ذكره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاويّ (ت٩٠٢) من أن:

١. الحافظ جمال الدين يوسف المزي «كان قد أملى»(٢) والحافظ المزي- رحمه الله – لم تكن وفاته إلا سنة (٧٤٢)، أي قبل شروع الحافظ العراقي في الإملاء بـ (٥٤) سنة!!

٢. كما أملي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بـ «ابن ناصر الدين» المتوفى سنة (٧٥٢)، أي قبل شروع العراقي في الإملاء بـ (٤٤) سنة، ومن مجالسة ما هو مطبوع منشور(٣).

٣. كما ذكر أن التاج السبكي حاوله، وهو المتوفى سنة (٧٧١) أي قبل شروع الحافظ العراقي في مجالس الإملاء بـ (٢٥) سنة!!

---

(١) (٢/ ٣١٤).

(٢) "فتح المغيث": (٣/ ٢٥١).

(٣) طبع منها مجلس بتحقيق أبي عبد اله محمود بن محمد الحداد – حفظه الله – ويقع في (٢٦٤ صفحة) حيث بدأ بذكر المجلس مجرداً في (١١ صفحة) ثم أعقبه بتخريج أحاديثه، وأضاف عليه جمعاً لطرقه في جزء أسماء «الأمنية في تخريج المسلسل بالأولية» وقد نشرته دار العاصمة بالعاصمة السعودية الرياض سنة: (١٤٠٧).

وعليه فإن دعوى انقطاع الإملاء بين الحافظين ابن الصلاح والعراقي في ضوء المعطيات المشار إليها غير صحيحة.

المسألة الثانية: هو دعوى السيوطي أن الإملاء أنقطع - أيضاً- عقب موت ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، حتى أفتتحه أول سنة اثنتين وسبعين وثمان مائة فأملي ثمانين مجلساً ثم خمسين أخرى(١).

وهي المقالة التي أصبحت رائجة في كثير من الكتابات والأبحاث المعاصرة، والمناهج الأكاديمية في الجامعات، والحق أنها مساءلة تحتاج إلى مناقشة وإعادة لما يلي بيانه:

أن هذا ما حسبه السيوطي وظنه.

أنه نسي أن قرينه الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاويّ أملى في العاشر من شهر جمادى الأولى من عام (٨٦٤هـ) بينما أملى جلال الدين السيوطي – كما ذكر هو عن نفسه – أول سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة(٢).

بل لقد وجدت في نهاية النسخة المحفوظة لكتابه «البلديات»(٣) في مكتبة المهندس الأيرلندي «تشتر بتي» المحفوظة في أيرلنده (٤)، تحت الرقم (٣٦٦٤/ ١) النص التالي: «آخر المجلس السادس والأربعين... وهو المجلس الرابع عشر بعد الخمس مئة من الأمالي، وكان الفراغ في يوم الثلاثاء، الثامن عشر المحرم الحرام، سنة ثلاث وثمانين وثمان مئة، بجامعة العمري، باستملاء أخي – نفع الله به، وصرف عنه كل مكروه-....».

وقد أجاب بعض الباحثين عن هذا الإيراد بأن مرام جلال الدين السيوطي (ت٩١١) إحياء سنة الإملاء بعامة، لأن الحافظ السخاوي (ت٩٠٢) أملى أول

(١) "تدريب الراوي": (٢/ ١٣٢).
(٢) "تدريب الراوي": (٢/ ١٣٢).
(٣) ذكره في "الضوء اللامع": (٨/ ١٥).
(٤) ومنها صورة في مكتبة جامعة الأمام محمد بن سعود في العاصمة السعودية الرياض.

الأمر في داره، ثم انتقل إلى «سعيد السعداء»، وهي أماكن مخصوصة مقارنة لإملاء السيوطي في الجامع الطولوني(١).

ويمكن مناقشة هذا الجواب بالتأكيد على ما ذكر أن الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاويّ (ت٩٠٢) أملى أول الأمر في منزله، ثم تحول بعد وفاة ابنه أحمد في جمادى الأولى سنة (٨٦٤) إلى خانقاه سعيد السعداء(٢)، والتي كانت تضم جامعاً كبيراً ومدرسة وفي مدينة كانت القلب النابض للعالم الإسلامي آنذاك فهل هو مكان خاص!!

ولو سلمنا بذلك فإن محمد بن عبد الرحمن السخاويّ (ت٩٠٢هـ) قد سافر إلى مكة المكرمة سنة (٨٧٠هـ) وجاور بها، وأملى -أيضاً- بها عقب رسالة جاءته من المحدّث السنباطيّ (ت٨٩١هـ) (٣) تستنهض همته، وتحثه على الإملاء بالبلد الحرام، وكان ذلك في شهر ذي القعدة من سنة (٨٧١هـ) (٤) فهل البلد الحرام مكان خاص!.

كما أملى في عدة أماكن من «القاهرة» وقال عن نفسه: «وبلغ عدة ما أمليته من المجالس إلى الآن نحو الست مائة، والأعمال بالنيات»(٥).

---

(١) نبه إلى ذلك الباحث الفاضل الدكتور اللحام في "السيوطي وجهوده في الحديث" (٢٣٣).
(٢) وتقع بمنطقة رحبة "باب العبد" من القاهرة "الخطط" (٢/ ١٤٤)،
(٣) له ترجمة في "الضوء اللامع": (٩/ ٢٧٢).
(٤) و"جيز الكلام": (٢/ ٧٨٣).
(٥) فتح المغيث" (٣/ ٥١) وكان السخاوي كثيراً ما يشير إليها في الضوء اللامع وإلى من حضرها من العلماء والطلاب نحو ما جاء في: (١/ ٢٣)، (٢/ ١١)، (٣/ ٧٧، ٨٨، ١٣٥، ١٥٠، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٩، ٢٢٤، ٣٢١)، (٤/ ٢٦٧، ٢٦٩)، (٥/ ٢١٣)، (٦/ ٩١، ١٠٦، ٢٠٩، ٣١٧)، (٧/ ٢٩، ٤٢، ٧٣، ١٣٣، ٢١٨، ٢٢١، ٢٥٤، ٢٧٠)، (٨/ ٣٤/ ٣٤، ٦١، ١١٧/ ١٧٠/ ١٩٥، ٢٤٧).
وكانن قد أسماها، بـ الأمالي المعلقة، كما أشار إلى ذلك في الضوء اللامع"، (٨/ ١٦) وذلك اقتداء بشيخه ابن حجر العسقلاني.
وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من مصنفاته ضمنه في الإملاء، فقد ذكر في "وجيز الكلام" (حوادث سنة إحدى وستين وثمان ومئة) (٢/ ٧٠٣): :في يوم الجمعة خامس محرمها، أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه.. وتكلمت على آية: (إنما يعمر مساجد الله) [التوبة/ ١٨]، بعد نظر أكثر من ستين تفسيراً.

ثم أنا وجدنا- أيضاً- وللفترة الزمانية -ذاتها- أن مكتبة (ملت)- ضمن وقفية الله -بـ«إستنبول» من الجمهورية التركية تحتفظ تحت الرقم (م ص (١١-١١٩) بمجالس من أمالي ابن الشحنة الصغير، محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي الحلبي، الحنفي، أبو الفضل، شمس الدين (ولد سنة ٨٤٠- وتوفي سنة ٨٩٠) وكان قد أملى المجالس بالمدرسة والجامع المؤيدي، وتبدأ مجالسه أملاءة من يوم الأحد شهر ذي القعدة سنة (٨٧١) كما في الورقة (ق/ ٤/ أ) وتنتهي بالمجلس السبعين يوم الأحد الثامن من ذي القعدة سنة: (٨٧٧) (١). وهذا يعني أنه سبق السيوطي في عقد مجالس الإملاء بأكثر من شهر ونيفٍ من الزمن، وفي المدينة نفسها- القاهرة- ولعل ذلك مما خفى على السيوطي!!

وعليه فإن دعوى السبق للسيوطي بافتتاح مجالس الإملاء بعد ابن حجر العسقلاني عريه عن الصحة، للمعطيات التاريخية، والبراهين التي تفند هذا القول.

على أن هذا التقليد العلمي ظل يتوارثه المحدّثون جيلاً بعد جيل، وإن كان قد قل من يُعرف به من المتأخرين، وهو في القرون المتأخرة أَقل وأندر، لكنه لم ينقطع، فقد أملى من المتأخرين المرتضى الزبيديّ(٢)،

كما أملى من المعاصرين أحمد بن محمد بن الصديق الغماريّ المتوفى سنة (١٣٨٠هـ) في مسجد الكخيا، ومسجد الحسين بـ«القاهرة»(٣).

ونلحظ من استعراضنا السابق أن كتب الأمالي بدأت مع بواكير الدعوة النبوية، واتسعت دائرة استعمالها، والجمع للحديث من خلال مجالسها بازدياد العناية بالسنة النبوية تدويناً وحفظاً، وتوسع حركة التأليف والتصنيف، وكان من المحدّثين من يمُلي على طلابه، ويختار لما أملاه عنوانً دالاً على مضمون المادة العلمية، ومنهم من يختار الأسلوب دون أن يضع له عنواناً فوسمت باسم الأسلوب كما تقدم.

(١) كتب بخط معتاد، كتبها أبو الوفاء، محمد بن خليل بن إبراهيم الصائحي، المصري، القاهري، والنسخة تحت رقم (٢٦/ ١م ص) ، في (١١٩) ورقة، في كل ورقة (١٥) سطر تقريباً، (١٧,٥×٢٤سم) وهي قيد التحقيق.

(٢) "فهرس الفهارس": (١/ ٥٣٠) قال الكتاني "... فأحياه المترجم- يعني الزبيدي- بعد مماته، ووصلت أماليه إلى نحو أربع مئة مجلس، كان يملي في كل اثنين وخمسين فقط، وقد جمع ذلك في مجلدات، ولكني بعد البحث لم أظفر بها إلى الآن".

(٣) "تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه": (٢١٠). وقد طبعت أمالي الغماري.

الخاتمة

يمكن من خلال ما سبق الوصول إلى النتائج التالية

١. أن مجالس الإملاء نتاج علمي حديثي خاص قائم بذاته، له أسبابه، وبواعثه، وخصائصه، وقيمته العلمية، ولا يزال في حاجة إلى دراسات متعمقة تسهم في كشف المزيد عنه.

٢. إن مجالس الأمالي الحديثية مجالس خضعت لأسلوب من أساليب التحمل والأداء، ضمن حركة الحفاظ على السنة النبوية، وفق خصائص، ومقومات محددة، تضاهي أرقي الأساليب التعليمية، حيث ترتبط جل الحواس للطلاب مع المملي.

٣. أن مجالس وأجزاء الإملاء موطن لمادة علمية غنية وغزيرة في الرواية والدراية، مما يجعلها جديرة بالتقفر والجمع والتحقيق.

٤. أن هذا الأسلوب التعليمي والتوثيقي يقوم على أركان أساسية ثلاثة، هي: المملي، والطالب، والمادة العلمية، وأرتبط كل ركن من الأركان بقواعده إجرائية، وخصائص محددة.

٥. أن أسلوب الإملاء مر بثلاث مراحل أساسية مرحلة النشأة والمنافسة، ومرحلة السبق والازدهار، ومرحلة الأفول والاضمحلال، ولكل مرحلة طبيعتها ومؤشراتها.

٦. أن ظاهرة المستملي أحد الابتكارات الذكية التي فرضتها دواعي المرحلة، ومتطلباتها الميدانية في الممارسات التعليمية نتيجة كثرة أعداد التلاميذ، ولم يكن يتصدر لهذه الدرجة إلا بشروط محددة تفرضها دواعي الاحتياط للسنة النبوية.

٧. أن دعوى انقطاع الإملاء بعد الحافظ ابن الصلاح دعوى غير صحيحة، كما أن دعوى أولية افتتح الإملاء بعد ابن حجر من قبل السيوطي غير صحيحة-أيضاً-

التوصيات:

١. عمل مزيد من الدراسات متنوعة عن هذه الطريقة من طرق التعليم والتوثيق للسنة عند المحدّثين.

٢. فتح أفق أوسع للباحثين لتحقيق كتب الأمالي الحديثية المخطوطة والتي لا زال أغلبها حبيساً في خزائن المخطوطات، وذلك من خلال برامج الدراسات العليا في الجامعات.

٣. الاستفادة من طرق وأساليب المتقدمين في الممارسات التعليمية والتدريسية، وإبرازها للناس في ثوب قشيب، يكشف عن مكنونها الجميل، وبما يفصح بجلاء عن أحد الروائع من حضارتنا الإسلامية، وفضلها على الإنسانية جمعا.

٤. أعادة النظر في بعض الآراء التي تدوالتها كتب المصطلح السابقة، وإخضاعها لدراسات متعمقة.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأصبهاني، أَحْمَد بن عَبْدالله:(ت ٤٣٠)، حِلْيَةُ الأَوْلياء، للحافظ دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م

٢. البخاري مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل : (٢٥٦)، صَحِيح البُخارِيّ، ضبطه ورقّمه: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كَثِير، دمشق، الطبعة الثَّالِثة ١٤٠٧هـ-١٩٧٨م.

٣. ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨)، الصلة في علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، المكتبة الأندلسية، الناشر: دار الكتاب اللبناني،٢٠٠٢م.

٤. التليدي، مُحَمَّد بن عبدالله، تراث المغاربة في الْحَدِيْث النبوي، دار البشائر الإِسْلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٥. ابن الأثير، الإمام ابن الأثير الجزري:(ت ٦٣٠) أسد الغابة في معرفة الصحابة: تصوير إحياء التراث العربي، بيروت.

٦. ابن الجوزي، عَبْدالرَّحْمَن بن عَلِيّ (ت٥٩٧)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: د. مُحَمَّد عبد الوهاب فضل، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٧. الجزائري، طاهر الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م

٨. ابن أبي حاتم، عَبْدالرَّحْمَن بن مُحَمَّد (ت ٣٢٧)، علل الْحَدِيْث، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٩. ابن أبي حاتم، عَبْدالرَّحْمَن بن مُحَمَّد (ت ٣٢٧)، الجرح والتعديل، تحقيق: عَبْدالرَّحْمَن المعلمي، مصورة عَنْ دائرة المعارف العُثمَانية، الطبعة الأولى١٣٧٢ هـ – ١٩٥٣م.

١٠. حاجي خليفة، مصطفى بن عَبْدالله:(ت ١٠٦٧)، كشف الظنون عَنْ أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. .

١١. ابن حجر، أَحْمَد بن عَلِيّ العسقلاني (ت ٨٥٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢. ابن حجر، أَحْمَد بن عَلِيّ العسقلاني (ت ٨٥٢)،تقريب التهذيب، تحقيق: مُحَمَّد عوامة، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأَوَّلى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٣. ابن حجر، أَحْمَد بن عَلِيّ العسقلاني (ت ٨٥٢)، تهذيب التهذيب، مصورة عَنْ طبعة دائرة المعارف العُثمَانية، الهند.

١٤. ابن حجر، أَحْمَد بن عَلِيّ العسقلاني (ت ٨٥٢)، فتح الباري، تحقيق: محب الدِّين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٥. ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢)، فتح الباري بشرح صحيح الأمام البخاري، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٩-١٩٨٨م.

١٦. ابن حنبل الإمام أَحْمَد بن حَنْبَلٍ:(ت ٢٤١)، مسند الإِمام أَحْمَد، تصوير دار الفكر العربي، بيروت.

١٧. ابن حنبل الإمام أَحْمَد بن حَنْبَلٍ:(ت ٢٤١) مسند الإِمام أَحْمَد، تحقيق: أَحْمَد شاكر، دار المعارف، مصر، الطَبعة الثَّانِية.

١٨. الخطيب، أَحْمَد بن عَلِيّ (ت ٤٦٣)، تاريخ بَغْداد، دار الكتب العلمية بيروت.

١٩. الخطيب، أَحْمَد بن عَلِيّ (ت ٤٦٣)، تقييد العلم، تحقيق: يُوْسُف العش، دار إحياء السُّنَّة النبوية.

٢٠. الخطيب، أَحْمَد بن عَلِيّ (ت ٤٦٣)، الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع، تحقيق: د. مُحَمَّد عجاج الخطيب، موسسة الرسالة ، الطبعة الثَّانِية،١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢١. الخطيب، أَحْمَد بن عَلِيّ (ت ٤٦٣)، شرف أصحاب الحديث، تحقيق: د. محمد سعيد أوغلي، جامعة أنقرة، دار أحياء السنة النبوية.

٢٢. الخطيب، أَحْمَد بن عَلِيّ (ت ٤٦٣)، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: د. محمد الصقر، دار المنار، القاهرة،١٩٧٧م.

٢٣. ابن خلكَانَ، أبوالعَبَّاس أَحْمَد بن مُحَمَّد:(ت ٦٨١)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عَبَّاس، دار الثقافة، بيروت.

٢٤. خليفة، أبوعَمْرو خليفة بن خياط(ت ٢٤٠)، الطبقات: تحقيق: الدكتور ضياء العُمَري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثَّانِية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٥. الدولابي، لأبي بشر محمد بن احمد بن حماد (ت ٣١٠ هـ)، الكنى والأسماء، تحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دارالكتب العلمية، ١٩٩٩م

٢٦. الذَّهَبِيّ، مُحَمَّد بن أَحْمَد (ت ٧٤٨)، سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ، تحقيق: شعيب الأرونأوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢٧. الذَّهَبِيّ، مُحَمَّد بن أَحْمَد (ت ٧٤٨)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: مُحَمَّد البُخارِيّ، دار المعرفة، بيروت.

٢٨. الذَّهَبِيّ، مُحَمَّد بن أَحْمَد (ت ٧٤٨)، تذكرة الحفاظ، تحقيق: عَبْدالرَّحْمَن المعلمي، دار الفكر العربي.

٢٩. الرازي، مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر، مختار الصحاح: مؤسسة علوم الْقُرْآن، دمشق، ١٤٠٥- ١٩٨٥م.

٣٠. الرامهرمزي، الحسن بن عبدالرحمن (ت ٣٦٠)، المحدث الفاصل، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ١٤٠٤هـ.

٣١. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد(ت٤٠١)، تهذيب اللغة،تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي.

٣٢. السبكي، علي يوسف، الرسائل النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٣٣. السَّمْعَانِيّ، عبد الكريم بن مُحَمَّد (ت ٥٦٢)، أدب الإملاء والاستملاء، دراسة وتحقيق: أحمد مُحَمَّد عبدا لرحمن مُحَمَّد محمود، سنة ١٤١٥هـ

٣٤. السخاوي، مُحَمَّد بن عَبْدالرَّحْمَن، (ت ٩٠٢)، فتح المغيث بشرح ألفية الْحَدِيْث، تحقيق: عَلِيّ حسين عَلِيّ، دار الإمام الطبري، الطبعة الثَّانِية، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٥. سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي(ت ٦٥٤)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ؛ تحقيق مسفر بن سالم بن عريج الغامدي . سلسلة بحوث إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ

٣٦. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن: (٩٠٢)، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، نسخة مصورة عن ط - القاهرة : المكتبة القدسية،١٣٥٤هـ.

٣٧. اللحام، بديع، السيوطي وجهوده في الحديث،

٣٨. السخاويّ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن: (٩٠٢)،وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف ، عصام فارس الحرستاني ، أحمد الخطيمي، الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م

٣٩. ابن سعد، الطبقات الكبرى:(القِسْم المتمم)، تحقيق: زِيادَ منصور، مطبوعات الجامعة الإِسْلامية، المُدِيْنَة المنورة، الطبعة الأَوَّلى ١٤٠٣هـ.

٤٠. السيوطيّ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر(٩١١)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤١. الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن الجزيرة، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس، نشر دار الثقافة. صدر آخرها ١٩٧٩م

٤٢. شاكر، أحمد محمد (١٩٦٢م)، ،الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث اختصار علوم الحديث لابن كثير ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٤٣. الصفدي، لصلاح الدِّين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤)، الوافي بالوفيات، تحقيق جماعة من المستشرقين، دار صادر، بيروت.

٤٤. ابن الصلاح، عُثمَان بن عَبْدالرَّحْمَن، (ت ٦٤٣)، علوم الْحَدِيْث، تحقيق: نور الدِّين عتر، دار الفكر، دمشق.

٤٥. الفيروزآبادي، مُحَمَّد بن يعقوب:(ت ٨١٧)، القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت.

٤٦. ابن قطلوبغا، زين أبي العدل قاسم(ت ٨٧٩)، كتاب من روى عن أبيه، تحقيق د ٠ باسم فيصل الجوابرة – مكتبة المعلا – الكويت.

٤٧. الكتاني، محمد بن جعفر (١٣٤٥هـ)، الرسالة المستطرفة، تحقيق: محمد المنتصر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦هـ

٤٨. الكتاني، عبدالحي بن عبدالكبير(١٣٨٢)، فهرس الفهارس و الإثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م

٤٩. العراقي، زين الدّين عبدالرحيم بن الحسين (ت٨٠٦)، ألفية الحديث، حققه وصححه: أحمد محمد شاكر. عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨-١٩٨٨م.

٥٠. ابن العماد، الحَنْبَلِي:(ت ١٠٨٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥١. الأعظمي، محمد مصطفي، دراسات في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٥٢. العسكري، ألحسن بن عبدالله العسكري، (ت ٣٨٢)، تصحيفات المحدثين، تحقيق: محمد أحمد.

٥٣. أبو عَوَانَة، يعقوب بن إِسْحَاق، (ت ٣١٦)، المسند، دار المعرفة، بيروت.

٥٤. ابن عدي، الجرجاني:(ت ٣٦٥)، الكامل في ضعفاء الرجال، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثَّالِثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٥٥. ابن المديني، عَلِيّ بن عَبْدالله المديني (ت ٢٣٤)، العلل، تحقيق: د. مُحَمَّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإِسْلامي، بيروت، الطبعة الثَّانِية ١٩٨٠م.

٥٦. المزي، جمال الدِّين يُوْسُف بن عَبْدالرَّحْمَن (ت ٧٤٢) ، تَهَذِيْب الكَمالِ في أسماء الرجال، تحقيق: د. بَشَّار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الْخَامِسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٥٧. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١)، تجارب الأمم،تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٥٨. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١)، لسان العرب، مصور عن طبعة بولاق.

٩٥. اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤)، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار التراث / المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس١٣٧٩هـ - ١٩٧٠م

Al Amali Al Hadeethiyeh

A historical and analytical study

by

Dr. Mohammad Ben Abdullah Al Amer Al Shahri

– Abstract –

This study has examined an educational phenomenon which is linked to the educational styles and methods of those who kept and sustain Al Hadeeth Al Shareef throughout long ages of their fighting for the right and to keep Al Sunnah Al Shareefeh. This study revealed also the concept of the comprehensive dictation and its first linguistic indicators، its importance and significance and the role dedication plays in the movement of sustaining the prophet's (P) Hadeeth and Sunnah. Furthermore، this study discusses the stages which dictation passed through starting from its evolvement، development and it's achieving of learning and teaching practices. In addition to the three primary pillars that this educational method stands upon.

Present study discusses some of absolute facts that are in the grammar of hadeeth's keepers in regard to the history of this approach.